

العروبة والقرن الحادي والعشرين، تيار المستقبل، بيروت 2009، ص 93 - 140.

## القومية الألمانية وتجلياتها الوجدانية والعنصرية والإمبريالية

1806 - 1990

عبد الرؤوف سنو  
أستاذ في الجامعة اللبنانية

يتناول البحث القومية الألمانية وتجلياتها الوجدانية والعنصرية والإمبريالية من خلال أربع مراحل: الأولى بين عامي 1806 - 1870، وفيها تكوّنت القومية الألمانية وتحققت الوحدة السياسية. وفي هذه المرحلة، لعبت المواقف العنصرية تجاه "الغريب" و"الأجنبي" دوراً مهماً في تحفيز المشاعر القومية؛ الثانية بعد عام 1890، وفيها تحولت القومية الألمانية إلى مشروع إمبريالي تصادمي مع القوميات الأوروبية الأخرى، وصل إلى ذروته خلال الحرب العالمية الأولى؛ الثالثة، وفيها تبوأ أدولف هتلر السلطة بين عامي 1933 و1945 حاملاً مشروع القومية الإمبريالي القاضي بإقامة إمبراطورية ألمانية تقوم على التمجيد العنصري والتوسع في شرق أوروبا؛ أما المرحلة الرابعة، فهي انقسام القومية الألمانية بين دولتين تعيشان في ظل إيديولوجيتين ونظامين اجتماعيين متناقضين، إلى أن توحدتا في تشرين الأول عام 1990.

### 1- القومية الأوروبية: تكوّنها وتطورها

لعب الدين الدور الأساس في تكوين الأمم وحضاراتها، فكانت الشعوب الأوروبية مثلاً تنضوي تحت الحضارة المسيحية الغربية، فيما تسود اللغة اللاتينية. وفي عصر النهضة، تبنت أوروبا اللغة اليونانية القديمة والحضارة الرومانية. بعد ذلك، احتلت الحضارة الفرنسية المكانة الأولى لدى الطبقة المثقفة في أوروبا وفي السلك الدبلوماسي. ومنذ نهاية القرن الثامن عشر، أصبح المنظار إلى الحضارة هو المنظار القومي، وبنات اللغة القومية وحدها هي لغة الحضارة للأمة. كما أصبحت الأرض التي يعيش عليها شعب واحد، بتجاربه التاريخية الواحدة وتطلعاته ومصالحه المشتركة من مقومات القومية.

ومع الثورة الفرنسية وتداعياتها، تطور مصطلح "القومية" في أوروبا من خلال مساعي الدول لتطوير ثقافتها واقتصادياتها ومجتمعاتها. بيد أن معناه اختلف من بلد إلى آخر، ومن مفكرين وسياسيين إلى آخرين. فعرف المفكر السياسي الإيطالي غوزيبي مازتسيني (Giuseppe Mazzini) (1805-1872) القومية بأنها انتماء جماعة بشرية واحدة إلى وطن واحد، شرط أن يجمعها تاريخ مشترك وأفكار ومبادئ وأهداف مشتركة ولغة واحدة في أرض هذا الوطن، قاصداً بذلك أن إيطاليا هي أمة واحدة لا دول - مدن رومانية.<sup>1</sup> فكان لفكره دور أساسي في اليقظة القومية الإيطالية. في

المقابل، أضاف العلماء الألمان في القرن التاسع عشر إلى المصطلح المذكور الثقافة والتراث الواحد النابعين من وحدة اللغة.

استناداً إلى ما سبق، لعبت اللغة دوراً أساسياً في الحركة القومية الأوروبية، وفي انهيار الإمبراطورية النمساوية/الهنغارية والسلطنة العثمانية، فاستقلت عن الأولى كل شعوبها التي لا تتكلم اللغة الألمانية، وعن الثانية الشعوب التي لا تتكلم اللغة التركية. ومن وجهة نظر ماركسية، فوحدة الحياة الاقتصادية والمصالح الاقتصادية هي أقوى محددات القومية. وعلى أيدي الباحثين المحدثين، كعالم اللسانيات الفرنسي مارسيل كوهين (... Marcel Cohen 1939)، جرى الاكتفاء بعاملين أساسيين للقومية هما: وحدة اللغة التي تنبع منها وحدة الثقافة، والتكوين النفسي والتاريخ المشترك، ما يستنهض مشاعر الانتماء إلى أمة على أساس وحدة الأرض ومؤسسات اجتماعية وقضايا مشتركة. أما الفيلسوف الفرنسي أرنست رينان (Ernest Renan 1823-1892)، فاعتبر أن إرادة العيش المشترك، وليس اللغة والعرق والأصل والدين، هي التي تؤدي إلى قيام أمة. فكان بذلك يرد على المفكرين الألمان الذين رأوا أن سكان منطقتي الأنزاس واللورين<sup>2</sup> ألمان على أساس رابطة العرق واللغة.<sup>3</sup>

وبين القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، ارتبطت النزعة القومية بحركتي التحرر والتوحيد في البلدان الغربية التي كانت مقسمة وخاضعة للنفوذ الأجنبي، ولدى شعوب شرق أوروبا ووسطها التي كانت خاضعة للاحتلال العثماني أو الاحتلال الروسي أو النمساوي. فقادته الطبقة البرجوازية المتتورة في بلدان الاحتلال النزعة القومية، بقيمها القائمة على ملكية الفرد والليبرالية السياسية والاقتصادية، بهدف الوصول إلى الديمقراطية والمساواة الدستورية بين الناس على أساس الحقوق والواجبات.

ومع تطور المجتمعات الأوروبية ونضج الاستعمار والتحول نحو الإمبريالية، ارتبطت القومية بالمنافسات الشرسة بين الدول الكبرى، وأضيف إليها مبدأ "التمركز على الذات" (Ethnocentrism)، انطلاقاً من مقولات التفوق والنقاء العنصري اللذين يختزلان الآخر، ما جعل التشكيلات القومية في شرق أوروبا ووسطها تأخذ طابعاً أكثر تطرفاً في صيغها السلافية والجرمانية والتركية.

منذ العقد الأول من القرن العشرين، أصبحت النزعة القومية دافعاً قوياً لحركة التحرر العربي للتخلص من الحكم العثماني، وتبلورت في شكل واضح عشية الحرب العالمية الأولى وخلالها. كان ترويج دوائر الاستعمار والنخب العربية غير الإسلامية في الدولة العثمانية لفكرة القومية العربية، هو لإبطال مفاعيل "الرابطة العثمانية" و"الجامعة الإسلامية"<sup>4</sup> وجعل القومية العربية قاسماً مشتركاً يجمعهم مع العرب المسلمين للتخلص من الحكم العثماني،<sup>5</sup> وجاء التعبير عن ذلك في مؤتمر باريس عام 1913 والمطالبة باللامركزية وبالإصلاحات في الولايات العربية،<sup>6</sup> وبشكل خاص خلال الحرب العالمية الأولى، عندما أعلن الشريف حسين بن علي سنة 1916 "الثورة العربية الكبرى" ضد العثمانيين بدعم بريطاني.<sup>7</sup> وقد عرّف المفكر العربي ساطع الحصري العناصر الأساسية في تكوين القومية العربية "بأنها وحدة اللغة ووحدة التاريخ، وما ينتج عنهما من مشاركة في المشاعر والمنازع، وفي الآلام والأمال....". فكانت هذه النزعة وراء إحياء هذه الشعوب لغتها والاهتمام بتراثها وتمجيد انتماءاتها الأصلية، واتخاذ مواقف الانفتاح أو الرفض لتيارات التحديث الغربية.<sup>8</sup> لكن النزعة القومية العربية لم تتحول إلى مشروع سياسي لتحقيقها

بالقوة الذاتية، إذ راهنت النخب العربية في الفترة ما بين الحرب العالمية الأولى ونهاية الحرب العالمية الثانية على الدول الأجنبية المتنافسة على منطقتهم في سبيل انجاز وحدتها القومية.<sup>9</sup>

## II - ألمانيا: القومية المبعثرة

لا يمكن في الواقع تحديد تاريخ دقيق لتكوّن القومية الألمانية، ولا كذلك الحديث عن أمة ألمانية، من دولة وشعب يعيش ضمن حدود في ظل نظام سياسي جامع، كما كان عليه الحال في بريطانيا وفرنسا. فالمناطق التي تتشكل منها اليوم دولة ألمانيا الاتحادية، كانت في العصور الوسطى مسرحاً لهجرات واسعة لشعوب وقبائل جرمانية عقب سقوط الدولة الرومانية عام 476، ولم تتوحد تحت سلطة سياسية واحدة إلا في عهد الإمبراطور كارل الكبير (شارلمان)، مؤسس مملكة الفرنج في مطلع القرن التاسع الميلادي. وبعد وفاته، انقسمت دولته إلى مملكة الفرنج الغربية التي انبثقت عنها فرنسا لاحقاً وتكلمت اللغة الفرنسية، ومملكة الفرنج الشرقية التي سمّيت بالإمبراطورية الرومانية المقدسة، وفي ما بعد بمملكة الألمان وتكلم أهلها اللغة الألمانية، فضمّت الأخيرة كذلك أراضي النمسا وسويسرا وشمال إيطاليا وبوهيميا وهنغاريا، التي تعتبر النواة الأولى لنشوء ألمانيا ككيان سياسي في سنوات ما بعد القرن العاشر الميلادي.<sup>10</sup> ونتيجة ضعف حكمها المركزي وتعرضها للضغط الخارجي، انقسمت الإمبراطورية الرومانية المقدسة في العصور الوسطى إلى العديد من المدن والدويلات المستقلة التي شهدت تطوراً سريعاً، وفي الوقت نفسه شهدت صراعات بين الأسر الحاكمة والسلطة الدينية الممثلة بالبابوية، ما انعكس سلباً على الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

هذه التطورات السياسية والاقتصادية، فضلاً عن هيمنة البابوية على مقدرات الإمبراطورية الرومانية المقدسة، كانت دافعاً لظهور حركة الإصلاح الديني، ما أدى إلى انبعاث المذهب البروتستانتي وتحول نسبة 80% من الألمان إلى المذهب الجديد،<sup>11</sup> وبالتالي اندلاع صراعات وحروب بين ملوك أوروبا المؤيدين للبروتستانتية وبين أولئك المدافعين عن الكاثوليكية. فكان هذا سبباً لاندلاع حرب الثلاثين عاماً (1618-1648)، التي بدأت دينية وتحولت إلى حرب أوروبية. فدفعت الأراضي الألمانية ثمناً باهظاً جراء المعارك الطاحنة، قبل أن تنتهي الحرب بصلح ويستفاليا وينتهي الصراع الديني في أوروبا<sup>12</sup> بترسيخ تقسيم المملكة الألمانية إلى قرابة 360 دولة صغيرة ودوقية أو قصر أو مدينة، أو حتى إمارة كنيسة، موزعة على 10 دوائر ولكل منها رايته، ما جعل الوضع يتميز بازدواجية السلطة لفترة طويلة: بين الحكم المركزي ممثلاً بالإمبراطور، وبين الأمراء الطامحين للاستقلال عنه. وفاقم الوضع، الصراع الحاد على الهيمنة في ألمانيا بين أسرة هوهنزولرن (Hohenzollern) البروتستانتية في بروسيا، وأسرة هابسبورغ (Habsburg) الكاثوليكية في النمسا، التي سبقت بروسيا في النهوض بقرنين من الزمن<sup>13</sup>، ما جعلهما تفشلان في التصدي لسياسة نابوليون بوناپرت في التوسع على حسابهما منذ مطلع القرن التاسع عشر.

ترتب على حروب نابوليون في أوروبا أربعة نتائج في ما يتعلق بالمناطق الألمانية: 1- سقوط الإمبراطورية الرومانية المقدسة عام 1806، وإحلال اتحاد الراين (Rheinbund) للدويلات الألمانية الغربية محلها في العام التالي تحت حماية إمبراطور فرنسا، باستثناء بروسيا والنمسا. فكان هذا نوعاً جديداً من التكتل السياسي له مجلسه (Diet) الذي يشرف على الإدارة المشتركة، لكنه أقل من الوحدة السياسية؛ 2- تقليص عدد الدويلات الألمانية إلى 38 دويلة، ما ساعد على بدء تبلور شعور قومي للمرة الأولى، وتحوله إلى ثورة كراهية ضد الفرنسيين الغرباء في المناطق الألمانية

الشرقية والشمالية بعد عام 1813. كما أن تأسيس كونفيدرالية ألمانية (Der Deutsche Bund) ضمت دويلات مستقلة بموجب مؤتمر فيينا عام 1815، وليس إعادة تأسيس إمبراطورية ألمانية موحدة، زاد من النعمة الشعبية وسط الألمان؛ 3- تحكّم بروسيا والنمسا بقرارات "البوند"، ومساعي الأولى إلى ملء الفراغ في وسط أوروبا بعد مؤتمر فيينا؛ 14 4- حدوث نتائج اقتصادية وخيمة على الدويلات الألمانية، تراكمت مع الأزمة الزراعية والمجاعة عامي 1816 و1817، وإغراق المنتجات الصناعية الإنكليزية الأسواق الألمانية.<sup>15</sup>

من هنا، فإن الطموحات الرامية إلى تأسيس دولة قومية ألمانية موحدة لم تأت من فراغ، وإنما بتأثير العديد من العوامل المترابطة التي ذكرناها باختصار: نمو الشعور القومي الألماني؛ تشرذم السوق الداخلية وإغراقها بالسلع الأجنبية؛ قيام اتحاد شمال ألمانيا (Norddeutscher Bund) عام 1866، كنواة للدولة الألمانية الموحدة؛ ثم أخيراً حروب الوحدة ضد الدنمارك والنمسا وفرنسا.

### III - الوحدة الألمانية: إرهاباتها الفكرية والاقتصادية والسياسية

#### - القومية في الفكر الألماني

لعب الفكر الألماني وتأجيح مشاعر القومية عبر المفكرين والمؤرخين والفلاسفة ورجال الاقتصاد وأساتذة الجامعات والحركات الطلابية دوراً مهماً في بلورة نزعة قومية تناهض قوى الاحتلال الأجنبية و"الغرباء"، وتعمل على توحيد دويلات ألمانيا، وتسير جنباً إلى جنب مع صعود بروسيا - ألمانيا. فلم تكن الدويلات الألمانية بداية بعيدة عن مؤثرات الثورة الفرنسية ومبادئها، إذ تحمس لها ألمان وناقشوا أفكارها. لكن، بتحولها إلى العنف، وسياسة نابوليون في القضاء على الإمبراطورية الرومانية المقدسة، والتعديلات التي طرأت على المناطق الألمانية الغربية، سببت تحولاً في صفوف الألمان تجاهها، وجعلتهم ينظرون إلى أنفسهم على أنهم ألمان، وبالتالي إلى الفرنسيين على أنهم جيش احتلال، ما يستوجب تحرير بلدهم منهم.<sup>16</sup>

وعلى الرغم من أن هدف نابوليون من القضاء على الإمبراطورية الرومانية المقدسة وإقامة "اتحاد الراين" لم يكن بعث القومية الألمانية، إلا أن قيام هذا الاتحاد ساعد على خلق شعور قومي ألماني، عندما أنقص عدد الدويلات الألمانية. فلم يعد الحديث منذ ذلك الحين عن عالمية الحضارة الفرنسية، وإنما عن الثقافة الألمانية التي تعبر عن وعي قومي وتطرح تساؤلات حول الطابع النوعي والخاص للشعب الألماني الذي لم يتوصل بعد إلى تحقيق وحدته السياسية وأضعفته الانقسامات السياسية.<sup>17</sup> من هنا، انبرى الفكر الألماني لصياغة مفهوم جديد للثقافة الألمانية بخصوصية فريدة متمركزة على الذات، ترفض "الغريب" و"الأجنبي" وتبتعد عن مفهوم الحضارة الفرنسية بمعناه الواسع، وبالتالي التصدي للتشرذم السياسي عبر الحث على الوحدة القومية.

كان الشاعر يوهان غوتفريد هرذر (Johann Gottfried Herder 1744-1803) والفيلسوف يوهان غوتليب فيشته (Johann Gottlieb Fichte 1762-1814) من أبرز المفكرين الألمان الذين رحبوا بداية بالثورة الفرنسية ومبادئها، ثم انقلبوا عليها عندما أصبحت مشروعاً إمبريالياً.<sup>18</sup> فعمل الاثنان على تأجيح النزعة القومية؛ فدعا هرذر مواطنية إلى التمسك باللغة الألمانية وبتقافتهم الخاصة وتقليدهم التي تؤسس جميعها لقيام أمة. واعتبر أن من يخسر روحه

الوطنية، يخسر نفسه وكل العوالم حوله، وأن لا انجاز كامل إلا عبر الأمة.<sup>19</sup> أمن هردر أن القومية والحرية متلازمان، ف "لكل أمة رسالة مقدسة تتجلى في إسهامها في سيمفونية الأمم".<sup>20</sup>

أما فيشته، الذي قال إن كل إنسان يستطيع أن يرى في الثورة الفرنسية وطنه ويضحى من أجلها، وإن انتصارها ليس الأمل الأعظم للإنسانية فحسب، بل هو وجودها في حد ذاته،<sup>21</sup> فشارك في مقاومة نابوليون بعد غزوه الأراضي الألمانية. وفي عام 1808، أثناء الاحتلال الفرنسي لبرلين، وجه "نداءً إلى الأمة الألمانية" (Reden an die deutsche Nation)<sup>22</sup> لفت فيه الانتباه إلى أن الحرب التي خسرتها بروسيا أمام الفرنسيين مع نصف أراضيها في تشرين الأول 1806، مطالباً بأن ينبغ تخاض في معركة أخرى في الداخل، وهي معركة المبادئ والأخلاق، عبر إصلاح تام للطاقت الحيوية للمجتمع الألماني وصهرها. واعتبر فيشته أن الألمان هم الوحيدون الذين يملكون القدرة على تجديد أنفسهم، لأن لغتهم هي الأنقى والأكثر أصالة.<sup>23</sup> وبعبارة استهاض قومي حماسية شوفينية تدعو إلى حب الوطن وجعل الأمة الألمانية والشعب الألماني فوق غيرهما من الأمم والشعوب، خاطب فيشته قومه بالقول: "إذا أردتم أن تكونوا أناساً يستحقون هذا الاسم حقاً (ألمان)، فيجب أولاً أن تكونوا مواطنين. وإذا أردتم ألا تهلك ألمانيا، فاجعلوها أولاً أمة تحترم نفسها، وتحمل جميع الأمم على احترامها. إن الألمان هم الشعب الحقيقي، والجنس الصحيح، والطراز الأصيل للإنسان، إذا قلت "الألماني"، فكانك قلت "الإنسانية" كلها. إنهم (الألمان) أصح الأمم مزاجاً، وأوفرهم نشاطاً. أمة تمنح حياة جديدة لما تقتبسه من الأمم الأخرى، لأن الحياة فيها مستمدة مباشرة من الله الذي صورها وقومها أحسن تقويم. إننا الشعب المختار، شعب المستقبل. إننا الوعي العالي للإنسانية".<sup>24</sup>

وبالإضافة إلى ذلك،، كان فيشته معادياً للسامية، وللإهود بشكل خاص، معتبراً أنهم أقاموا دولة لهم داخل الدولة الألمانية، ما يقوض الأمة ويشكل عائقاً أمام تكوّن القومية الألمانية، فقال: "... أن نعطيهم (اليهود) حقوق المواطنة، فلا أرى سوى وسيلة واحدة، وهي أن نقطع رؤوسهم في إحدى الليالي ونضع محلها رؤساً خالية من أية أفكار يهودية. ولنحمي أنفسنا منهم، فإني كذلك لا أرى سوى أن نفتح لهم أرض الميعاد (فلسطين) ونرسلهم جميعاً إلى هناك".<sup>25</sup>

ومع فريبريش لودفيغ يان (Friedrich Ludwig Jahn 1778-1852)، يتصاعد المنحى العنصري ليصل إلى "حرب صليبية مقدسة" ضد الغرباء من فرنسيين ويهود وبولونيين،<sup>26</sup> ما جعل البعض يتهمه بأنه مؤسس مبادئ النازية القائمة على التربية المعادية للسامية والغرباء.<sup>27</sup> وفي عام 1813، أسس يان فرقة من المتطوعين الألمان للاشتراك في الحرب ضد نابوليون. وبعدها، طالب بأن تتوحد الدويلات الألمانية تحت عرش بروسيا ويكون لها دستور ديمقراطي.<sup>28</sup>

وإلى جانب هؤلاء المفكرين، كتب أوغوست هاينريش هوفمان (August Heinrich Hoffmann 1798-1874) في عام 1841 قصيدة غنائية بعنوان "نشيد الألمان" (Das Lied der Deutschen)، دعا فيها إلى خلق ألمانيا الموحدة لتكون "فوق كل شيء، فوق كل شيء في العالم"، ورأى أن هذا لا يتحقق إلا عبر الوحدة والعدالة والحرية.<sup>29</sup> كما كان الصحفي والسياسي يوهان جوزيف غوريس (Johann Joseph Görres 1776-1848)، كفيشته، من أشد المؤيدين لمبادئ الثورة الفرنسية، ثم انقلب عليها وقاومها عندما تحولت إلى إمبريالية، فدعا إلى قيام ألمانيا موحدة في ظل ديمقراطية بروح مسيحية.<sup>30</sup> ولا يقل مرتبة عنه في سعيه إلى الوحدة الألمانية، الصحفي والنائب في الجمعية الوطنية في فرانكفورت أرنست موريتس أرنست (Ernst Moritz

(Erndt 1769-1860)، الذي اشتهر بكرهه للفرنسيين، فكان من أبرز المناضلين في حرب التحرير ضد الفرنسيين. ومن خلال مؤلفاته، طالب بانفصال مناطق الراين التي تتكلم الألمانية عن فرنسا، ودعا إلى الحفاظ على نقاوة الشعب الألماني وعدم خسارة نفسه بتهجينها مع شعب آخر. فالألمان في نظره، هم أكثر من كل الشعوب الأخرى حفاظاً على نقاوة دمهم. وقد استغل أرندت آراءه هذه في دعايته ضد اليهود، وكل غريب، معتبراً إن تنصّر اليهود، وبالتالي اندماجهم بالمجتمع الألماني، يشكل خطراً على القومية الألمانية.<sup>31</sup> وعلى المنوال نفسه، اعتبر المؤرخ هاينريش فون ترايتشكه (Heinrich von Treitschke 1834-1896) "أن اليهود هم طالع شؤم للألمان"، فطالب بضرورة استئصالهم.<sup>32</sup> وهذا يثبت أن العداء تجاه "الغريب" وجد في الثقافة الاجتماعية والسياسية الألمانية قبل وصول هتلر إلى السلطة، وأن الأخير عمل على صياغته في قالب جديد، يقوم على الحرب.

إن الارتباط الحميم بين قوة الدولة وبين حروبها الخارجية من أجل تأسيس "مجال حيوي" قومي - سياسي، يظهر بوضوح عند ترايتشكه، الذي اعتبر الحرب هي الأساس لكل الفضائل السياسية. وفي رأيه، إن مصطلح الدولة يحتوي في داخله على معنى الحرب.<sup>33</sup> وبوضوح أكثر حول تأثير الخارج في النزعة القومية الألمانية، انتقد المؤرخ والسياسي الليبرالي كارل فون روتك (Karl von Rotteck) غياب النظرة المشتركة لدى الألمان بالنسبة إلى الوطن.<sup>34</sup> متأثراً بالحروب النابوليونية وما ألحقته بألمانيا من كوارث، قال إنه منحاز إلى وحدة ألمانيا، لأنها السبيل الوحيد إلى تقوية ألمانيا تجاه الخارج، ومنع التعدي عليها. وبسبب كونه زعيم الأحرار في بادن (Baden) في جنوب ألمانيا، أعلن أنه "يفضل الحرية من دون الوحدة، على الوحدة من دون الحرية".<sup>35</sup> أما تحقيق الاثنان معاً، فقد ثبت أن ثورة عام 1848 غير قادرة على تحقيقهما.

هكذا، تطورت الثقافة الألمانية في القرن التاسع عشر تحت وطأة كراهية كل غريب وأجنبي، وازداد ارتباطها بمفهوم "الأمة". وعلى أهميتها، لم تكن المشاعر القومية الألمانية وحدها محفزاً كافياً لتحقيق الألمان وحدتهم. صحيح أنه كانت هناك دعوات إلى قيام "ألمانيا الفتاة"،<sup>36</sup> إلا أن الصحيح أن الألمان كانوا يحتاجون أيضاً إلى شعور اقتصادي قومي يلزم مفهوم "الأمة الثقافية" من هنا، انبرى الفكر الألماني ورجال الاقتصاد بالدعوة إلى توحيد المصالح الاقتصادية المشتركة للألمان كمقدمة للوحدة السياسية، وعندما تكلفت الأولى بالنجاح منذ منتصف الثلاثينات من القرن التاسع عشر، بدأ الألمان يشقون الطريق لتحقيق الهدف الأخير، وهو الوحدة السياسية.

#### - الاتحاد الجمركي (Zollverein): تشابك المصالح الاقتصادية، لا وحدة سياسية

أدى الوضع الاقتصادي المتردي دوراً مهماً في تنمية الشعور القومي الألماني. فبالإضافة إلى المجاعة التي حدثت في العشرينات من القرن التاسع عشر، لحقت أضرار بالصناعة الألمانية الناشئة، بسبب غياب حماية جمركية للمنتجات الوطنية، فضلاً عن تبعثر السوق الداخلية، وازدياد دور الرأسمال اليهودي الواضح فيها.<sup>37</sup> ومع أن الحصار القاري الذي ضربه نابليون على أوروبا في مطلع القرن التاسع عشر، ساعد على ازدهار الصناعة الألمانية في أنحاء البلاد،<sup>38</sup> إلا انتهاء هذا الحصار جعل البضائع الإنكليزية تغزو مجدداً الأسواق الألمانية، ما ألحق خسائر فادحة بالصناعة الوطنية. ولم يكن بالإمكان في هذه الظروف تنشيط الصادرات الألمانية إلى الدول الأوروبية لفرض معظمها رسوماً جمركية مرتفعة على المستوردات الأجنبية حماية لصناعاته الوطنية. فبات واضحاً، أن الاقتصاد الألماني يمكنه فقط أن يكون قادراً على المنافسة الأوروبية،

عندما يتم تشكيل سوق داخلية ألمانية متماسكة تستطيع تمثيل الاقتصاد الوطني تجاه الخارج، وعندما يتم كذلك التغلب على التجزئة السياسية. من هنا، ظهر إلى الوجود في ألمانيا ثلاثة اتحادات جمركية أو ضريبية رئيسية، تزعمت الأول بروسيا، والثاني هانوفر (Hannover)، وبراونشفايغ (Braunschweig)، والثالث بفاريا (Bayern) وفورتنبرغ (Württemberg).

قامت مملكة بروسيا بالخطوة الأولى لتوحيد السوق الألمانية. فأصدرت "قانون الجمارك" (Zollgesetz) عام 1818، الذي شمل إلغاء 67 ضريبة كانت مفروضة على أكثر من ثلاث آلاف سلعة.<sup>39</sup> فاعتبرته الدويلات الألمانية في الشمال والوسط المنخرطة في "البوند الألماني" موجهاً ضدها، فبدأت بخطوات مماثلة لحماية صناعاتها وتجارها.<sup>40</sup> فشكلت هسن- دارمشتادت (Hessen-Darmstadt)، اتحاداً جمركياً، انضمت إليه كورهنس (Kurhessen) عام 1831. أما ردة الفعل في وسط ألمانيا، فجاءت عبر إنشاء "جمعية تجارة وسط ألمانيا" (Mitteldeutscher Handelsverein) عام 1828 من 18 دولة ألمانية. وبدورها، توصلت دول ألمانية أخرى إلى إنشاء "الاتحاد الجمركي لجنوب ألمانيا" (Süddeutscher Zollverein).<sup>41</sup>

دللت الخطوات تلك على رغبة دوائر الاقتصاد الألمانية في تقليص الحواجز الجمركية السابقة، وتوحيد تعريفات السوق، وحماية الانتاج الوطني من المنافسة الأجنبية، مع احتفاظ كل واحدة بأنظمتها الخاصة. ولأن الاقتصاد الألماني أخذ ينمو في مجالات الصناعة (التعدين وسكك الحديد) والمواصلات والمصارف،<sup>42</sup> أصبحت هناك حاجة مشتركة منذ مطلع الثلاثينات لدى معظم الدويلات الألمانية إلى قيام وحدة جمركية أشمل تمثل السوق الألمانية الموحدة. فروج الاقتصادي والأستاذ الجامعي فريدريش ليست (Friedrich List 1789-1846) وغيره لفكرة اتحاد جمركي يشمل كل ألمانيا، وبالتالي تحقيق الوحدة الاقتصادية. وانتقد ليست وجود 38 حدوداً جمركية في ألمانيا، فطالب بعمل مزدوج يقوم على خلق وحدة جمركية وإنشاء خطوط سكك الحديد، وبأن تحلّ دولة قومية ألمانية محل الفيدرالية الألمانية، وتقوم بتوحيد الاقتصاد وإلغاء الحدود الجمركية.<sup>43</sup>

بناءً على الدعوات الحثيثة من رجال الاقتصاد والتجارة، لم تعد هناك مفرّ أمام بروسيا، المترددة تجاه الوحدة السياسية، سوى القيام بخطوة أخرى لتوحيد السوق الألمانية. فتكللت الجهود التي قام بها وزير ماليتها فريدريش فون موتز (Friedrich von Motz 1775-1830) قبيل وفاته في إنشاء "الاتحاد الجمركي الألماني" (Deutscher Zollverein) في كانون الثاني 1834.

لم يكن "الاتحاد الجمركي" مشروعاً سياسياً ليخدم مشاعر الإقليمية التي ظهرت بوضوح إبان ثورة 1848 والحرب البروسية - النمساوية عام 1850، لكنه عبّر عن قوة مملكة بروسيا السياسية على الساحة الألمانية، والحاجة إلى سوق موحدة لحماية الاقتصاد من المنافسة الأجنبية، وتأمين أسواق للصناعات الفولاذية والكيميائية النامية منذ منتصف القرن التاسع عشر.<sup>44</sup> وشكل هذا بحد ذاته خطراً على مصالح القوى المؤثرة في ألمانيا، ومنها بريطانيا والنمسا. فاعتبرت دوائر سياسية بريطانية أن "الاتحاد الجمركي" يشكل خطراً على الصناعة الإنكليزية،<sup>45</sup> فيما وصفه وزير الخارجية النمساوية فون ميترنích (Von Metternich 1773-1859) "باتحاد صغير ... (إلى جانب الاتحاد الألماني) الذي سيعتاد بسرعة على تحقيق أهدافه بوسائله الخاصة".<sup>46</sup>

وفي السنوات التالية على تأسيس "الاتحاد الجمركي"، انضمت دويلات أخرى إليه، واتسعت مساحة الأراضي الألمانية التابعة له، وكذلك عدد السكان، الذي وصل إلى أكثر من 41

مليوناً عام 1871.<sup>47</sup> وآخر الدويلات الألمانية التي التحقت بـ "المنطقة الجمركية" (Zollgebiet)<sup>48</sup> عام 1888، هي هامبرغ (Hamburg) ولوبك (Lübeck) وبريمن (Bremen).<sup>49</sup>

لقد ربط مفكرون واقتصاديون ومؤرخون ألمان بين "الاتحاد الجمركي" والفكرة القومية، وطرحوا أسئلة عما إذا كان عملاً سياسياً ممهداً للوحدة؟ ومن الواضح أنه كان من عمل رجال الاقتصاد، وليس من صنع رجال السياسة. صحيح أنه ساعد على حرية تحرك الصناعة الألمانية، وشبّك قلوب الألمان بعضها ببعض، وكذلك مصالحهم الاقتصادية والسياسية،<sup>50</sup> لكن لم تكن له تأثيرات مباشرة في النمو الصناعي، ولم يحدّ بصورة مباشرة من تدفق السلع الأجنبية إلى السوق الألمانية، فبقيت مسائل الضرائب غير المباشرة والعملة المتداولة والموازن والمقاييس والمكوس الداخلية على حالها. وما حققت الزراعة من قفزات، لا يعود إليه، بل إلى تغيير بنية الزراعة في الفترة السابقة على إنشائه.<sup>51</sup> مع ذلك، أسهم "الاتحاد الجمركي" في توسيع حجم التبادل التجاري بين الدويلات الألمانية، إلا أن الصناعة الألمانية لم تتمكن من مواكبة نمو التجارة الخارجية الألمانية، إلا بعدما جرى التحول إلى الصناعات الثقيلة منذ ثمانينات القرن التاسع عشر.<sup>52</sup> وعلى الرغم من نمو حجم التجارة الخارجية الألمانية بنسبة 125% بين عامي 1854 و1869، إلا أنها لم تتمكن من أزاحة فرنسا عن مركزها الثاني في التجارة العالمية خلف بريطانيا.<sup>53</sup>

وعلى خطّ مواز لقيام السوق الألمانية الموحدة، استطاع الاقتصاد الألماني النمو باطراد، متخطياً الأزمات السياسية عامي 1848/1849، والأزمات الاقتصادية بين عامي 1857 و1873،<sup>54</sup> والحرب البروسية - الدنماركية بين عامي 1864 و1866.<sup>55</sup> وقد تطلب توحيد السوق الألمانية إيلاء بناء السكك الحديدية وتوسيع شبكاتها،<sup>56</sup> فضلاً عن تطوير الطرقات البعيدة والملاحة الداخلية.<sup>57</sup> وفي الفترة ما بين عام 1848 و1870، تضاعف إنتاج الفحم الحجري والحديد الخام مرات عدة في منطقة "الاتحاد الجمركي" وفاق إنتاج فرنسا.<sup>58</sup> وصاحب ذلك تطور في القطاع المصرفي خلال الخمسينات والستينات، متزامناً مع نمو التجارة والصناعة واحتياجاتهما. فأخذت المصارف الضخمة تحلّ محلّ البنوك الخاصة.<sup>59</sup>

وكما ذكرنا، عقد الكثير من الألمان آمالاً كبيرة بأن يؤدي "الاتحاد الجمركي" إلى الوحدة القومية أو إلى التعاون العسكري على الأقل بين الدول الجرمانية، إلا أن ذلك تأخر حتى نهاية الستينات، بسبب تحفظات بروسيا، ومعارضة النمسا قيام وحدة ألمانية تحت الهيمنة البروسية، ورغبة دول "الاتحاد الجمركي" بالاحتفاظ بوضعها السياسي المستقل وأنظمتها الخاصة. فبقيت مشاعر الإقليمية والمحلية الغالبة، وظهر هذا بوضوح في الموقف اللامبالي من الثورة في فرنسا عام 1830،<sup>60</sup> ومن الحرب بين بروسيا والنمسا عام 1866، التي أدت إلى انحياز دويلات ألمانية جنوبية إلى جانب الدولة الأخيرة. ومع ذلك، فعشية ثورة عام 1848، كانت هناك، وتحديداً، منذ اعتلاء فريديريك قلهم الرابع (Friedrich Wilhelm IV 1795-1861) العرش في 1840، مؤشرات على تحولات جذرية في المجتمع الألماني صبت في مصلحة توحيد البلاد.

### - الفرصة الذهبية الضائعة 1849/1848: ثورة لا وحدة

باعتلاء فريديريك قلهم الرابع العرش، نمت في بروسيا روح تحريرية لسببين، خارجي وداخلي: الأول هو مساعي فرنسا لاستعادة الأراضي الألمانية على مسار الراين، والثاني الصدام بين البرلمان البروسي والملك عام 1847 حول مسائل اقتصادية. فنزلت الجماهير إلى الشوارع



تحتج على سياسته، واصطدمت مع جنوده وأرغمته، ليس على إنشاء جمعية وطنية تُعدّ لدستور فحسب، بل على إقامة دولة ألمانية اتحادية.<sup>61</sup> وعلى عكس الثورة الفرنسية التي أخذت منحى اجتماعياً، أخذت الثورة في ألمانيا منحى قومياً، فساد شعور لدى الألمان بضرورة قيام بروسيا الكبرى. لكن الملك، ما أن تقوى مركزه بدعم الجيش، حتى حلّ الجمعية الوطنية وأسس مجالس برلمانية تضمن هيمنته على البلاد.

رداً على ذلك، اجتمع في كنيسة باول (Paulskirche) في فرانكفورت يوم 31 مارس 1848 مندوبون عن كل ولايات ألمانيا، مثلوا اليمين المحافظ، الذي رفض تخلي الأمراء عن حقوقهم، والراديكاليين، الذين نادوا بألمانيا جمهورية موحدة من دون قيصر وأمراء، والأحرار أو قوى الوسط، الذين فضلوا ألمانيا متحدة (فيدرالية)، يكون للأقاليم فيها حقوقها وتكون ممثلة في الحكومة الاتحادية. من هنا، جاءت المعارضة النمساوية والبروسية للمشروع، إذ رفضت الدولتان الخضوع لسلطة نواب منتخبين. وعندما قررت "الجمعية الوطنية في فرانكفورت"<sup>62</sup> (Frankfurter Nationalversammlung) آخر الأمر إجراء أول انتخابات نيابية حرة لألمانيا، حملت الانتخابات إلى المجلس 585 نائباً من صفوف الشعب، من الليبراليين المعتدلين والراديكاليين الديمقراطيين، على رأسهم نواب أكاديميون وتجار وأساتذة جامعات ومؤرخون. واللافت، هو إصدار الجمعية الوطنية في نهاية عام 1848 "القانون الأساسي للشعب الألماني" الذي كفل حرية الرأي والفكر والمعتقد وعدم انتهاك حقوق الإنسان.<sup>63</sup>

هكذا، جرى الربط بين القومية الألمانية والبرلمانية الدستورية والديمقراطية في مشروع للإنطلاق بألمانيا موحدة لأول مرة في تاريخ البلاد. لكن إقامة دولة اتحادية ألمانية، باستثناء النمسا ذات الأعراق الكثيرة، على رأسها قيصر وراثي هو ملك بروسيا، جعل فريدريش فلهلم الرابع يرفض هذا العرض الثوري على النموذج الفرنسي،<sup>64</sup> لأنه جاء من نواب الشعب وليس من قبل الأمراء، ولأن أمراء ألمان رفضوا الخضوع لزعامة أمير مثلهم. أخيراً، لأن النمسا استبعدت من دخول الاتحاد، وفق نظرية "ألمانيا الصغرى" بزعامة بروسيا. ولكي يمنع الملك البروسي النمسا من التدخل في الأزمة، أخذ على عاتقه تصفية الثورة بواسطة جيشه.<sup>65</sup>

هكذا، ضاعت فرصة ذهبية أمام الوحدة الألمانية. فكانت ثورة 1849/1848 أهم حدث سياسي لألمانيا بعد حرب التحرير ضد الفرنسيين. ومع ذلك، كان لملك بروسيا مشروعه الوحدوي الخاص، عبارة عن دستور "من فوق" وتأسيس دولة اتحادية عبر اتفاقات مع الأمراء الألمان بعيداً عن تدخل النمسا، ولكن من دون معارضتها. ولما كان مشروع كهذا يهدد مركزي روسيا والنمسا في ألمانيا، فقد رفضته الدولتان. فرأت النمسا ضرورة إعادة الاتحاد القديم (Deutscher Bund) وتأكيد سيادتها على ألمانيا، عبر افتعال حرب مع بروسيا. فحصل الصدام بينهما في تشرين الثاني 1850 على مقربة من فولدا (Fulda) ولحقت هزيمة سريعة ببروسيا، التي أجبرت على الإذعان طواعية لمطالب النمسا، التي حصلت على تأييد روسيا (اتفاق أولمترز المذل 28 نوفمبر 1850 Olmützer Punktation 1850). وهذه المطالب هي: 1- عودة "الاتحاد الألماني" تحت زعامة النمسا؛ 2- تخلي بروسيا عن زعامة الاتحاد الذي أقامته من الأمراء الألمان؛ 3- قبول بروسيا عقد اجتماع للدول الأعضاء في الاتحاد الألماني الذي سيعهد إليه إعادة بناء ذلك الاتحاد. وفي وقت لاحق، دافع أوتو بسمارك (Otto von Bismarck 1815-1898)، الذي عين مندوباً لبروسيا في الدايت في فرانكفورت، عن اتفاق أولمترز بأنه لم يكن هناك خيار آخر غيره، بسبب عدم استعداد

بروسيا للحرب.<sup>66</sup> منذ ذلك الحين، أخذت العداوة تكبر بين بروسيا والنمسا، وأخذت الدولة الأولى تستعد عبر عسكرة مجتمعتها إلى حرب تحرير قومية للأراضي الألمانية من "الغرباء".

#### **IV - بسمارك وحروب الوحدة الألمانية**

هكذا، كان على الوحدة الألمانية أن تنتظر زهاء عقدين من الزمن، لتتكامل بالنجاح بثورة من فوق قادها بسمارك، الذي تولدت لديه مشاعر الوطنية الألمانية منذ الصغر.<sup>67</sup> بدأ حياته السياسة كعضو في البرلمان البروسي، ثم اختاره الملك فريدريش قلهم الرابع مندوباً لمملكته في الاتحاد في فرانكفورت عام 1851. وبعد اقامته في بطرسبرغ (Petersburg) وباريس سفيراً لبلاده، تكونت لديه قناعات بأن المشكلة الألمانية لا يمكن حلها إلا باستخدام القوة.

بعد اعتلائه العرش بسنة واحدة، قرر الملك قلهم الأول عام 1862 الاستعانة بسمارك ليكون رئيساً للوزراء. ومنذ تسلمه منصبه، عكف بسمارك على اصلاح الجيش البروسي وتقويته إنطلاقاً من مقولة الملك في خطبة تسلمه العرش حول عسكرة المجتمع البروسي: "سيكون الجيش البروسي في المستقبل هو الأمة البروسية المسلحة".<sup>68</sup> فوضع بسمارك خطة لتحرير ألمانيا من الأجانب وتوحيد البلاد. فكان يدرك أن هناك قوى أوروبية لن تسمح بقيام الوحدة الألمانية، أو أن تنزع بروسيا الدولة الألمانية الموحدة، ما يعني الصدام بالدنمارك، بسبب مشكلة شلزفيغ - هولشتاين (Schleswig - Holstein)، وبالنمسا التي كانت تنافس بلاده على الزعامة في ألمانيا، ومع فرنسا بسبب عدائها التاريخي لألمانيا، وتصميمها على منع الوحدة الألمانية وقيام دولة جرمانية منافسة تفوقها قوة في أوروبا.

#### **الحرب الألمانية - الدنماركية 1864**

كانت دوقيتا شلزفيغ وهولشتاين تحت حكم الدنمارك منذ عام 1460، من دون أن تكونا جزءاً منها. فغلب الطابع الدنماركي على الأولى والألماني على الثانية. وعندما حصلت الثورة في ألمانيا عام 1848، ضمت الدنمارك إليها شلزفيغ. وبتدخل الدول الكبرى، أمكن حلّ المسألة سلماً، فوضعت الدوقية تحت إدارة مشتركة بروسية - دنماركية. وفي 1852، قرر مؤتمر في لندن وضع الدوقيتين في اتحاد شخصي مع الدنمارك، من دون ضمّهما إليها (استقلال ذاتي). لكن الاتحاد الألماني رفض المعاهدة، فيما تجاهلتها الدنمارك. فاستطاع بسمارك اقناع النمسا بمشاركته في حرب ضد الدنمارك للإستيلاء على الدوقيتين.<sup>69</sup> وتم ذلك عام 1864، من دون أن تتدخل أية دولة كبيرة في المسألة. وعندما تقدمت القوات المشتركة البروسية والنمساوية في الأراضي الدنماركية نفسها، وافقت الدنمارك على التنازل عن الدوقيتين لبروسيا والنمسا بموجب صلح فيينا.<sup>70</sup> إثر ذلك، قام حكم بروسي - نمساوي مشترك للدوقيتين. وفي 1865، تم الاتفاق على أن تحكم النمسا هولشتاين، وبروسيا شلزفيغ مع دوقية لاونبورغ (Lauenburg) الصغيرة التي ابتاعتها من النمسا. وفي عام 1866، ضمت بروسيا الدوقيتات الثلاث إليها.<sup>71</sup>

#### **الحرب البروسية - النمساوية 1866**

رغم اتفاقهما على حكم الدوقيتات الثلاث، كانت التناقضات بين بروسيا والنمسا كبيرة. فكان بسمارك واثقاً من أن النمسا لن تتخلى عن ادعاء الزعامة على الإمارات الألمانية، وأن عليه

استخدام القوة ضدها. ولتنفيذ مخططه، عقد اتفاقاً مع إيطاليا تقف بموجبه بروسيا إلى جانبها في أية حرب تقع بينها وبين النمسا. فكان هدف بسمارك من ذلك هو إرغام النمسا على حشد قواتها على الحدود الإيطالية. ثم ضمن بعد ذلك حياد فرنسا في الحرب المقبلة ضد النمسا لقاء ضمها بلجيكا أو لوكسمبورغ.

اشتعلت الحرب بين بروسيا والنمسا في حزيران 1866، وكانت سريعة وخاطفة، انتهت بدحر النمساويين في "معركة كونيغ غريتز" (Die Schlacht von Königgrätz).<sup>2</sup> ولم تكن لدى بسمارك رغبة في إذلال النمسا أكثر من ذلك أو تحويلها إلى عدو حاق، وإنما اقناعها بالموافقة على الوحدة الألمانية.<sup>3</sup> وفي آب، عُقد بين الدولتين "صلح بلغراد" نص على: 1- تشكيل اتحاد شمال ألمانيا ووضع دستور له، فضم 22 دولة و30 مليون نسمة؛ 2- تكوين كيان مستقل من دويلات ألمانيا الجنوبية؛ 3- ضم شلزيغ وهولشتاين نهائياً إلى بروسيا؛ 4- ضم إيطاليا البندقية إليها؛ 5- ضم مملكة هانوفر وإمارة هسن - كاسل ودوقية ناساو ومدينة فرانكفورت الحرة إلى بروسيا.<sup>4</sup> وترتب على هزيمة النمسا، اختفاء تلك الدولة كمنافس لبروسيا. كما عقدت بروسيا معاهدات تعاون مع الدويلات الألمانية الجنوبية التي دعمت النمسا خلال الحرب. فدلّت هذه التطورات على تحول في التوازن السياسي في أوروبا، ما جعل فرنسا تقلق عن حق.

#### - الحرب البروسية - الفرنسية 1870/1871: إنجاز الوحدة

سار بسمارك بعد الانتصار على النمسا في سياسة ذات شقين: الأول تقوية الجيش ومركز بروسيا الدولي، وألا تحارب على جبهتين (نظرية الكماشة)، وتوثيق الروابط مع روسيا، والشق الثاني، إبقاء النمسا معزولة سياسياً عن الأحلاف ودعمها ضد روسيا وتوجيهها نحو البلقان.

لتحقيق هدفه وجرّ فرنسا إلى حرب خاطفة، عمد بسمارك إلى انضاج أسباب الصدام مع النمسا على نار هادئة، عبر التنسيق المحكم بين القيادتين البروسيتين السياسية والعسكرية. فاستغل عام 1868 حادثة اختيار أمير ألماني هو ليوبولد فون هوهنزولرن - زيغمارينغن (Leopold von Hohenzollern-Sigmaringen 1835-1905) ليكون على عرش إسبانيا خلفاً للملكة إيزابيلا، ورفض فرنسا ذلك واعتباره بمثابة إعلان حرب عليها، للإيقاع بفرنسا وجرّها إلى الحرب. وتحت ضغط دولي وإنذار فرنسي، تراجع بروسيا عن ترشيح الأمير الألماني، فاعتقد امبراطور فرنسا أنه حقق نصراً دبلوماسياً، فتمادى في مطالبه بأن يقترن سحب الترشيح باسم ملك بروسيا وتعهد به عدم ترشيح الأمير مستقبلاً. لكن بسمارك، عبر تحريف ردّ الملك على إمبراطور فرنسا نابوليون الثالث، استنقز فرنسا لشن الحرب على بلاده؛ فأشاع في الإعلام أن ملك بروسيا رفض استقبال السفير الفرنسي لتسلم المطالب الفرنسية، التي يُطلق عليها "برقية إيمس" (Emser Depesche)، وهو ما اعتبرته فرنسا إهانة لشرفها، فنزلت جماهيرها إلى الشوارع تنادي بالحرب.<sup>5</sup>

أعلنت باريس في 19 تموز 1870 الحرب على برلين المستعدة سلفاً لها، سياسياً وعسكرياً، فيما تولى نابوليون الثالث قيادة جيشه، متجاهلاً مسألتين مهمتين: القدرات العسكرية الرفيعة للجيش البروسي،<sup>6</sup> وعدم دخول الدول الألمانية الجنوبية الحرب معه ضد بروسيا. فتمكن البروسيون من إلحاق هزيمة سريعة بالفرنسيين، وفتحت الطريق أمام جيشهم للوصول إلى الألزاس (Elsaß) وما لبث الفرنسيون أن تقهقروا إلى نواحي باريس، وحوصروا عند سيدان (Sedan) في أيلول 1870، وجرى أسر 104 ألف جندي منهم، بما فيهم نابوليون الثالث نفسه. أما أهم بنود

المعاهدة التي فرضها بسمارك على فرنسا، فكانت تخليها عن الألزاس واللورين (Elsaß-Lothringen)، وعن ميترز (Metz) وستراسبورغ (Straßburg)، ودفع تعويضات مالية ضخمة قبل مغادرة الجنود الألمان العاصمة باريس.<sup>77</sup> وإزاء هذا الانتصار، كتبت الصحافة الألمانية تقول: "أخيراً، أصبحنا قاب قوسين من تحقيق الدولة القومية الألمانية... يمكننا أن نكون ألمان، كما كان أسلافنا من قبل".<sup>78</sup> فأضحى استكمال الوحدة الألمانية هو الهدف التالي.

وحّد الانتصار البروسي الدويلات الألمانية شمالي البلاد وجنوبها. وفي قاعة فرساي (18 يناير 1871) نودي بقلهلم الأول إمبراطوراً ألمانياً. فتأسست بذلك الدولة الألمانية التي حلم بها بسمارك وملايين الألمان، فتكونت من 25 ولاية اتحادية، ومن ضمنها مدن الهنزا الثلاث والألزاس واللورين، واحتفظت الولايات الألمانية ببعض الامتيازات الدستورية. ومع ذلك، لم يكن الرايخ الألماني جمهورية كفرنسا، ولا ملكية برلمانية كبريطانيا، بل ملكية دستورية تعتمد على دولة ذات طابعي استبدادي عسكري.<sup>79</sup> أما الحكومة الاتحادية، فأشرفت على الجمارك والضرائب والمالية والجيش والأسطول والتجارة الداخلية والخارجية والبريد والبرق والسكك الحديدية والعملية والأوزان. في المقابل، طُبعت الإدارات العامة والقوانين والقضاء والتعليم كلها بالنموذج البروسي.<sup>80</sup> وعلى الصعيد التشريعي، انقسمت المجالس إلى مجلسين: البوندسرات (Bundesrat)، وأعضاؤه من ممثلي حكومات الولايات ويعينون من قبل حكاهم، والرايشستاغ (Reichstag)، وأعضاؤه ينتخبون لمدة خمس سنوات بالتصويت السري العام. أما السلطة التنفيذية، فوضعت في يد وزارة مسؤولة أمام الإمبراطور.

وعلى صعيد الاقتصاد الألماني، فقد تميز بالنمو. فحققت الصناعات الثقيلة قفزات نوعية في الانتاج في الأعوام 1879-1882.<sup>81</sup> ونمت كذلك التجارة والقطاع المصرفي، حيث لم تكثف المصارف بتمويل التجارة الخارجية، بل انخرطت في مشاريع مالية في الخارج، ما رفع من حجم الرأسمال الألماني المصدّر إلى الخارج في عام 1894-1900 إلى 500-600 مليون مارك سنوياً.<sup>82</sup> كما تميزت ألمانيا بالنمو السكاني في المدن والأرياف، فبلغ عدد الألمان ما يقرب من 65 مليون نسمة عام 1910، ومساحة البلاد ما يقرب من 541 ألف كلم.<sup>83</sup>

## **V - الحرب العالمية الأولى: الصدام بين القومية الألمانية والقوميات الأوروبية**

بناءً على متطلبات النمو الصناعي في البلاد، بدأت ألمانيا تعمل على الانتقال من النسق الأوروبي إلى النسق العالمي ومنافسة الدولة الإمبريالية على الزعامة في العالم عبر خطوات خجولة خلال عصر بسمارك، الذي عارض التنافس مع دول الاستعمار في العالم خشية التأثير في مكاسب عام 1871 (الألزاس واللورين).<sup>84</sup> فهندس من أجل ذلك سياسة توازن للقوى في وسط أوروبا، تقوم على منع قيام تحالفات بين فرنسا ودول أوروبية أخرى متاخمة لحدود ألمانيا، منعاً لوقوعها بين فكي كماشة وبالتالي أن تضطر للمحاربة على جبهتين، وكذلك التخفيف من حدة التناقضات بين روسيا والنمسا/هنغاريا، المتحالف مع كل منهما على حدة، حول البلقان.

وبناءً على اكتمال مكونات الإمبريالية الألمانية، من سياسية واقتصادية وعسكرية واجتماعية وثقافية وتبشيرية واستشرافية، وبسبب فشل سياسته الداخلية وحصص سياسته الخارجية

بأوروبا وحدها، لم يعد هناك مكان لبسمارك بوصول الإمبراطور قلهلم الثاني إلى عرش البلاد عام 1888، الذي وضع نصب عينيه هدفاً واحداً وهو الانطلاق بألمانيا إلى "النسق العالمي"، وتأمين مجال حيوي (Lebensraum) لها لتنافس القوميات الأوروبية الأخرى التي سبقتها إلى الزعامة على العالم،<sup>85</sup> وبالتالي تحقيق مكانة للقومية الألمانية تكون فوق القوميات الأوروبية الأخرى وفق نظرية بقاء الأقوى، مع كل ما تحمله سياسته هذه من احتمال الصدام مع الدول الإمبريالية. وأثناء ذلك، كان رجال الفكر والإقتصاد الألمان يؤكدون أنّ صراع ألمانيا مع بريطانيا هو الذي سيرفعها إلى مرتبة دولة عالمية.<sup>86</sup>

وفي سياق تصادم القوميات الأوروبية للهيمنة الإمبريالية وسباق التسلح، وُظفت ثقافة التفوق والتمركز على الذات والاستشراف والدعاية كسلاح. وفي ألمانيا، كان صدى القومية – الإمبريالية صاخباً على المستوى الشعبي، فكانت هناك مطالبة بأن تتزعم ألمانيا العالم، وألا تبقى مجرد دولة كبيرة "تشتبعت" بالوحدة، وأن تشن الحرب لتحقيق هذا الهدف.<sup>87</sup> فطالب وزير الخارجية فون بولو (Von Bülow 1849-1929) بأن يكون لبلاده "مكاناً تحت الشمس" (Platz an der Sonne)، عبر سباق التسلح وبناء أسطول قوي يناهض بريطانيا في زعامتها البحرية، لأن من يملك القوة البحرية، يستطيع أن يسيطر على العالم.<sup>88</sup>

بناءً على ذلك، وجدت ألمانيا نفسها بحلول عام 1907 في مواجهة "الوفاق الودي" (Entente cordiale)، من بريطانيا وفرنسا وروسيا، ولم يكن معها من الدول الأوروبية سوى النمسا/هنغاريا.<sup>89</sup> فكانت الأزمات المغربية الأولى عام 1905/1906،<sup>90</sup> والمغربية الثانية عام 1911 (أزمة أغادير)<sup>91</sup> إيذاناً بالعد العكسي للدخول في حرب عالمية. صحيح أن دبلوماسية "القوة الحربية" لألمانيا خسرت في المسألة المغربية، إلا أنها لقيت ترحيباً واسعاً من الشعب الألماني، الذي اعتقد أن الحرب الآتية ستضع بلاده على زعامة العالم. فطالب زعيم المحافظين في البرلمان الألماني الحكومة الألمانية بالأتترك "سيف ألمانيا البارح .. يصدأ". واعتبر بعض السياسيين أن سعي ألمانيا لتبوء مكانة عالمية، يستوجب إيجاد الظروف المناسبة لشنّ الحرب.<sup>92</sup> حتى أن هيئة الأركان الألمانية دعت في ذروة الأزمة البلقانية عام 1912 إلى القيام بحرب استباقية (وقائية). كما أعلنت ألمانيا، في الوقت نفسه، عن سياستها للحفاظ على الدولة العثمانية في وجه المشاريع الأوروبية لتفاسمها، وجاهرت بصدقتها للشعوب الإسلامية (خطاب الإمبراطور الألماني في دمشق عام 1898)، فكانت وراء تسليح الجيش العثماني وتدريبه وانضمام الدولة العثمانية إليها في الحرب العالمية الأولى وإعلان الجهاد المقدس لصالحها ضد دول "الوفاق الودي".<sup>93</sup>

لقد جعل التصارع الإمبريالي الدول الكبرى، كل على حدة، تعمل على جعل الإسلام أداة لتحقيق مصالحها القومية. فكانت بريطانيا وراء إعلان الشريف حسين بن علي الجهاد ضد الدولة العثمانية، وتقاسم المشرق العربي مع فرنسا وفق اتفاق سايكس - بيكو، وأن تطلق يد الصهيونية في فلسطين وفق وعد بلفور. كما كانت ألمانيا بدورها وراء توظيف الإسلام لإثارة العالمين العربي والإسلامي ضد أعدائها. فانقسم العرب والمسلمون خلال الحرب العالمية الأولى إلى معسكرين متنافسين تجاه الدولتين الإمبرياليتين المتصارعتين،<sup>94</sup> معتقدين أنهم يستطيعون بذلك تحقيق أمنيتهم "القومية" جراء الصراع الدائر، فكانوا مجرد "عميان عن التاريخ"، لا يدرون أنهم مجرد أدوات تُستعمل في هذا الصراع، وظهر هذا مرة أخرى أثناء الحرب العالمية الثانية بانجذاب العرب والمسلمين إلى ألمانيا النازية التي كانت تضعهم في أسفل سلم الأعراف.<sup>95</sup>

لقد انتهت الحرب العالمية الأولى بخسائر بشرية بالملايين، وتدمير منشآت مدنية وصناعية وزراعية. وبالنسبة إلى ألمانيا، انحسر نفوذها في العالم بموجب مؤتمر السلام في باريس 1919 بعودتها إلى "النسق الأوروبي" كدولة ضعيفة فقدت مستعمراتها القليلة في ما وراء البحار، مرهقة بالعقوبات والتعويضات والقيود. فأعدت الألزاس واللورين إلى فرنسا، وتخلت عن حقوقها وامتيازاتها في البلدان التابعة للدول الأوروبية. ولضرب نظرية ألمانيا - العسكر، حُدّد عدد جيشها، ومنعت من التجنيد الإلزامي والتصنيع العسكري الثقيل. وترتب على نتائج الحرب، احتلال منطقة الرور (Ruhrgebiet) الغنية بالفحم من قبل فرنسا وبلجيكا، وارتفاع نسبة الدين الألماني. صحيح أن الهدف من مؤتمر السلام كان تقليص أظافر العسكارية الألمانية، إلا أن أحداً لم يضع تصوراً لتقسيم ألمانيا، التي بقيت موحدة، ولكنها منقسمة على نفسها في الداخل، بين التيارات الديمقراطية والتيارات المحافظة، معرّضة لأزمات سياسية واقتصادية. فواجهت الديمقراطية الفتية المتمثلة بحكومة فايمر تحديات كثيرة.

## VI - هتلر: من حكم ألمانيا إلى مشروع حكم العالم

كانت أولى ردات الفعل على خسارة ألمانيا الحرب، حدوث انتفاضة في البلاد في تشرين الثاني 1918، وتنحي الإمبراطور قلهلم الثاني عن العرش، وقيام جمهورية فايمر (Weimarer Republik) في شباط من العام التالي، كأول ديمقراطية برلمانية ألمانية من الناحية النظرية. لكنها عجزت عن ممارسة أي نشاط سياسي كبير، في أوروبا أو في الأقطار التي كانت خاضعة لبريطانيا وفرنسا أو تحت انتدابهما، بعدما جرت تصفية استثماراتها فيها.<sup>96</sup> فكانت هذه العوامل وراء الانقلاب في آذار 1920. وبعد الانتخابات البرلمانية في حزيران 1920، استقر الوضع السياسي.

### - هتلر وحكومة فايمر "المؤقتة"

أثناء حكومة فايمر، اختلفت نظرة الألمان حول التوجه الاجتماعي - السياسي في المرحلة التالية. فأراد الديمقراطيون اعتماد الديمقراطية والانفتاح على فرنسا وروسيا والولايات المتحدة. أما المحافظون، فرفضوا الاعتراف بهزيمة الرايخ في الحرب وبالذنب في اندلاعها، ورفضوا تالياً دفع التعويضات كونها عائقاً أمام الاقتصاد، أو القبول بالتخلي عن الألزاس واللورين.<sup>97</sup> واعتبروا جمهورية فايمر وديمقراطيتها شيئاً غريباً عن الحياة الألمانية مفروضة من الخارج، ما جعلها جمهورية من دون جمهوريين.<sup>98</sup> فجرى ترويج نظرية "المؤامرة" على الوطن على أيدي الديمقراطيين الاشتراكيين والشيوعيين واليهود، ما سمح بعودة الأفكار القومية العنصرية التي كانت سائدة إبان الاحتلال الفرنسي لألمانيا، ورواج مقولة "ألمانيا فوق كل شيء". كان اليمين يتطلع إلى قائد جديد يعيد إلى البلاد مكانتها العالمية، لا أن يسير في نهج ديمقراطي يدمج ألمانيا بأوروبا. ولاحق هذه الفرصة منذ عام 1923 بظهور هتلر على الساحة.

إن هزيمة ألمانيا في الحرب وفشل القوى الغربية في دمجها في النظام الأوروبي،<sup>99</sup> والنزاعات الداخلية، وأخيراً وليس آخراً احتلال فرنسا لمنطقة الرور، شكلت في عام 1923 نقطة تحول أفسحت في المجال أمام ظهور أدولف هتلر (Adolf Hitler 1889-1945)، الذي كره الديمقراطية والماركسية واليهودية، معتبراً أن جمهورية فايمر وما تحمله من قيم ديمقراطية عدو خطر. ورغم نمساويته، تملكه، بسبب نتائج الحرب العالمية الأولى، شعور وطني جرمانتي، إذ صعق لاستسلام الجيش الألماني، عازياً السبب إلى القيادة السياسية.<sup>100</sup> ووفق عقيدته، فعلى ألمانيا

أن تثار من نتائج الحرب، والانتقام من عدوها التقليدي فرنسا وتدميره، ومن روسيا التي تقف عقبة في طريق توسع الشعب الألماني في مجاله الحيوي. فانتقد ألمانيا القيصرية بأنها عملت للحصول على مستعمرات تافهة، بينما كان عليها تنفيذ سياسة توسعية في أوروبا، لأن الأرض يجب أن تكون ملكاً للشعب الأقوى ضمناً لبقائه، معتبراً أن ذلك من مسؤولية الدولة.<sup>101</sup>

وفي المقابل، فإن وجود السياسي الليبرالي غوستاف سترسمان (Gustav Stresemann 1878-1929) كرئيس للوزراء ووزير للخارجية، شكل عقبة أمام هتلر للإطاحة بجمهورية فايمر. فنجح سترسمان في سياسته الاقتصادية، وحصل على قروض أميركية عام 1925 لانعاش الاقتصاد، معتبراً ذلك مسألة حيوية لاستمرار الجمهورية. كما نجح في التسوية مع الغرب والشرق، وفي أتمام بنود معاهدة فرساي بوسائل سلمية صبّت في مصلحة بلاده، وصولاً إلى دمجها في العالم الغربي. فقام بتطبيع العلاقات مع فرنسا وبلجيكا وجعلهما يسحبان جيشيهما من الرور وفق اتفاقات عام 1925، وأبرم معاهدة صداقة مع الاتحاد السوفياتي، وانضمت ألمانيا في عهده إلى عصبة الأمم عام 1926. لكن وفاته مع بدايات الأزمة الاقتصادية العالمية عام 1929، أدت إلى ارتفاع نسبة العاطلين عن العمل إلى 30% من السكان العاملين،<sup>102</sup> ما سمح لمظاهر التطرف والتعصب والعداء للغريب تملو، فتمكن هتلر من استغلال الوضع لصالح حزبه النازي.

بدأ هتلر نشاطه السياسي للإطاحة بجمهورية فايمر بترؤس "حزب العمال الوطني الاشتراكي الألماني" (Die Nationalsozialistische Deutsche Arbeiterpartei) منذ صيف عام 1921، وتمكن في عام 1923 من تحويله إلى قوة سياسية لمعسكر القوميين المتطرفين والمعادين للسامية في بقاريا. وفي 9 نوفمبر 1923، قاد انقلاب ميونيخ الفاشل، وسجن، حيث وضع كتابه "كفاحي".<sup>103</sup> وفي ربيع عام 1930، انهارت آخر حكومة ائتلافية تستند إلى أغلبية في البرلمان. وتعاقبت حكومات كانت تحكم عن طريق المراسيم الرئاسية أو بواسطة قوانين الطوارئ، الأمر الذي أضعف النظام البرلماني. وأدى هذا الضعف بالتالي إلى تعاضم نفوذ قوى اليمين المتطرف والمعادي للعمل البرلماني. فبرز بشكل خاص أدولف هتلر وحزبه الذي استغل تراجع الثقة بالديمقراطية النيابية للتبشير بفكرة الفرد القوي القادر على حل المشكلات، وهو ما مكن حزبه من الصعود والتحول إلى حركة شعبية. فاستطاع هتلر في نهاية المطاف أن يتولى منصب رئيس الوزراء في 30 كانون الثاني 1933 بدعم من قبل بعض قوى اليمين التي توهمت بأنها تستطيع استغلاله لمآربها الخاصة. وبهذا بدأت حقبة مظلمة من تاريخ ألمانيا.

### - القومية والعنصرية في المشروع الإمبريالي لهتلر: الحرب العالمية الثانية

في السنة التالية على استلامه الحكم، بدأ هتلر عملية ضرب الديمقراطية والبرلمانية والقانون في ألمانيا، وفرض رقابة على الصحافة والإذاعة والسينما، وعلى المدارس والجامعات والمعاهد وكذلك تربية تتنجم مع مبادئ الفكر النازي.<sup>104</sup> وفي النهاية، نجح في إقامة سلطة الحزب الواحد والقائد الواحد، بعد أن تمكن من القضاء على المقاومة الشيوعية والاشتراكية والنقابية والكنسية، ووسط الجيش الألماني كذلك.<sup>105</sup>

مع وصوله إلى السلطة، وتحديداً جمعه بين شخصية القائد وشخصية رئيس الوزراء عقب وفاة الرئيس باول فون هيندنبورغ (Paul von Hindenburg 1847-1934)،<sup>106</sup> أخذ هتلر يتبع

سياستين تحضيراً لحربه ضد الأعداء في الخارج وفي الداخل. فأمسك البلاد بقيضة من حديد، وتظاهر بعدم تهديد جيرانه، وإنما السعي لأن تكون ألمانيا على قدم المساواة مع الأمم الأخرى.

قامت سياسة هتلر الخارجية على الاستفادة من الخلاف بين بريطانيا والاتحاد السوفياتي بهدف القضاء على معاهدة فرساي، التي تنصل منها في آذار 1935، وعلى توسيع حدود بلاده في أقاليم شرق أوروبا التي تتواجد فيها أقليات ألمانية، والتي اعتبرها مجالاً حيوياً اقتصادياً وبشرياً لبلاده. وانسحب من عصبة الأمم، وأعاد إقليم السار إلى ألمانيا، بعد الاستفتاء الذي حصل فيه عام 1935.<sup>107</sup> واحتل في آذار 1936 منطقة الراين المنزوعة السلاح وحصنها، وبنى جيشاً كبيراً يقوم على سياسة الخدمة العسكرية المحظورة.<sup>108</sup> كما تقرب من الفاتيكان، ومن إسبانيا عبر دعم الجنرال فرانكو في الحرب الأهلية، ووقف إلى جانب اليابان في خلاقاتها مع الصين، ومع إيطاليا في غزوها لإثيوبيا، وأقام مع الأخيرة "محور برلين - روما" (المحور الصلب Stahlpakt) منذ عام 1936، الذي تطور إلى حلف "المحور"، وضم إلى جانب ألمانيا وإيطاليا، اليابان وهنغاريا وبلغاريا. كما عقد هتلر (اتفاق الأسطول) من بريطانيا في حزيران 1935<sup>109</sup>، وعمل على عزل فرنسا، وعقد مع بولندا اتفاق عدم اعتداء عام 1934، وقطع علاقته بموسكو، بعد اتفاقها مع باريس. لكنه، عاد وعقد معها في آب 1939 اتفاق مولوتوف - ريبنتروب (Molotov-Ribbentrop) الذي أطلق يده في التوسع في بولندا في الشهر التالي، على الرغم من اتفاق عدم الاعتداء الموقع معها في مطلع عام 1934.<sup>110</sup>

لقد ربط هتلر بين سياسته الخارجية القاضية بالتوسع في أقاليم شرق أوروبا لتأمين مجال حيوي لبلاده، وبين سياسته القائمة على محاربة أعدائه في داخل المجتمع. صحيح أنه كره الشيوعية، إلا أن كراهيته لليهود كجسم غريب في المجتمع الألماني، فاقت مقته للشيوعيين. فهو لم يخترع العداة للغريب، الذي يعود بجذوره إلى الماضي، لكنه جعله أكثر راديكالية وحوله إلى عنصرية بيولوجية. فجعلته كراهيته للأعراق غير الآرية ونظريته القائلة بتفوق الشعب الألماني على كل الشعوب الأخرى<sup>111</sup>، يترك العيش في النمسا المتعددة الأعراق ويعيش في ألمانيا،<sup>112</sup> معتبراً أن الآري يخسر نقاوة دمه من خلال الاختلاط العرقي، وبالتالي قدراته الثقافية.<sup>113</sup> من هنا، اعتبر نفسه منقذ ألمانيا ومخلصها.<sup>114</sup> وفي كتابه "كفاحي"، دوّن أن ألمانيا لا يجب أن يكون لها مكاناً وحيداً على سطح الشمس فحسب، بل دولة على أساس عرقي يكون على رأسها زعيم دكتاتوري، تمارس خلالها نفوذاً على كل الألمان القاطنين خارج الرايخ، وتصبح في يوم من الأيام سيدة الأرض. "فألمانيا، إما أن تكون قوة عالمية أو لا تكون".

وبهدف الحفاظ على نقاوة الدم الجرمانى، منع الزواج بين اليهود والألمان، بعدما صنّف الشعوب على أساس قاعدة تقول بتفوق الجنس الآري، وحلّ اليهود والعرب وفق لائحته في مركزين متدنيين. ورأى في اليهود عدواً يتحمل مسؤولية زرع الشرّ في ماضي ألمانيا وحاضرها،<sup>115</sup> ذلك أنهم شكلوا دولة داخل الدولة، وأن عليه أن يستأصلهم ويحلّ "المسألة اليهودية" نهائياً، ليس في ألمانيا فحسب، بل في كل أوروبا.<sup>116</sup> فعمل أولاً على مقاطعتهم اقتصادياً واجتماعياً من خلال "قوانين نورنبرغ" (Nürnberger Gesetze) عام 1935، التي استعملها، ومعها "قوانين المواطن الألماني" (Reichsbürgergesetz)، و"قانون حماية الدم والشرف الألمانين" (Gesetz zum Schutz des deutschen Blutes und der deutschen Ehre)، من أجل اضطهاد اليهود، وتربية عرق بيولوجي ألماني نقي متفوق.<sup>117</sup> وأدت سياسته هذه في مرحلتها



الأولى إلى دفع عدد من اليهود إلى مغادرة ألمانيا (اتفاق الترانسفير 1933 إلى فلسطين)،<sup>118</sup> ومن ثم العمل على إبادتهم (المحارق) نهائياً في شرق أوروبا خلال سنوات الحرب العالمية الثانية.<sup>119</sup>

وعلى الرغم من موقفه المحترق للعرب، عمل هتلر، كما الرايخ الألماني قبل الحرب العالمية الأولى وخلالها،<sup>120</sup> على استغلال حركة القومية العربية المهللة لحرب ألمانيا على بريطانيا وفرنسا واضطهاد اليهود، في سبيل تحقيق مصالح بلاده القومية، علماً أنه كان متوافقاً مع حليفته إيطاليا على أن منطقة شرق المتوسط هي من نصيبها بعد الحرب، فيما تطلع هو نحو العراق لوفرة نفطه.<sup>121</sup>

لكن عنصرية هتلر تجاوزت الأعراف الدنيا، ووصلت إلى الشعب الألماني نفسه، فكان يريد شعباً يتمتع بالصحة والقوة، لا يشكل عبئاً على مشروعه للسيطرة على أوروبا. متأثراً بما كانت تفعله إسبيرة اليونانية بأبنائها الضعفاء، أوحى بتلقيح بعض الفئات الألمانية المصابة بأمراض وراثية لمنعها من الانجاب، ودعا إلى التخلص منها، انطلاقاً من نظريته أن الألماني الحقيقي هو ذلك الشاب القوي الممتلئ بالعنفوان والصحة الجسدية. أما الضعاف غير الأصحاء كاليهود، فيجب أن ينفرضوا، لأنهم يضررون بالمجتمع الألماني الذي يجب أن يحيا.<sup>122</sup>

ولتحقيق أهدافه، أقام هتلر دكتاتورية شمولية تقوم على الإرهاب والتخويف والدعاية والخداع والأكاذيب وقمع الحريات.<sup>123</sup> فسُط بوليسه السري "غستابو" (Gestapo) على كل أعدائه من الشيوعيين واليهود،<sup>124</sup> ما جعل الكثير من المفكرين والعلماء وأصحاب الرأي والفنانين وأرباب النقابات يفرون من ألمانيا بعد مهرجانات إحراق الكتب "الهدامة" للفكر النازي، لتبدأ حقبة جديدة من الثقافة الألمانية.<sup>125</sup> وقوّى هتلر شعبيته داخل البلاد عبر الاهتمام بالاقتصاد والقضايا الاجتماعية والعمالية. وبحلول عام 1938، أدت سياسته الإنمائية والاجتماعية إلى خفض عدد عاطلين عن العمل بشكل حاد، وارتفاع المستوى الاجتماعي للسكان.<sup>126</sup> فروجت أجهزته أنه المنقذ لألمانيا من الكساد الاقتصادي والحركات الشيوعية والخطر اليهودي.<sup>127</sup>

كما أقام هتلر اقتصاد التسلح للتحضير للحرب في زمن السلم، معتمداً على أصحاب المصارف ورجال الصناعة.<sup>128</sup> فشكّلت الصناعات العسكرية أساس الاقتصاد الألماني، الذي أصبح اقتصاداً عسكرياً منذ عام 1934.<sup>129</sup> وفي أيلول 1936، صرح غورينغ أمام رجال الصناعة أن المعركة التي توشك ألمانيا أن تخوضها تتطلب إنتاجاً صناعياً هائلاً، وأن البلاد على عتبة التعبئة العامة، لأنها في حالة حرب تقريباً، رغم أن الرصاصة الأولى لم تُطلق بعد.

هكذا، أصبح السؤال المطروح على المستويين الداخلي والخارجي بين عامي 1936 - 1939 هو التالي: من يوقف القومية الألمانية المتمثلة بهتلر في جنونه نحو الهيمنة العالمية؟ والجواب، أن أحداً لم يشأ قبل غزو بولندا التصدي لمشاريعه، خشية تورط العالم في حرب عالمية. لكن الدول الأوروبية أدركت آخر الأمر، وخاصة بريطانيا، أن طموحات هتلر لا حدود لها، وأن الزعيم الألماني لديه مشروعاً، ليس لأقامة ألمانيا الكبرى، وإنما إمبراطورية تهيمن على العالم.

في خريف 1937، بدأ هتلر يتحدث أمام هيئة الأركان في الجيش عن الحرب المقبلة ضد بريطانيا وفرنسا، وعن ضرورة توسيع رقعة ألمانيا، وصرح بأن "على كل جيل ألماني أن يقوم بالحرب في إحدى المرات... وأن الحرب هي أهم تربية للشبيبة الألمان".<sup>130</sup> ومن أجل ذلك، قضى على المعارضة لمشروعه داخل المؤسسة العسكرية، جاعلاً من نفسه القائد العام للجيش. وأصبحت

النمسا، منذ 11 تموز 1936، تدور في فلكه وتتلقى الأوامر منه.<sup>131</sup> وما لبث هتلر أن احتلها في 12 آذار 1938 تحت شعار بناء "ألمانيا الكبرى"، واعتبار ما حصل "مسألة عائلية ألمانية".<sup>132</sup> وأعلن هتلر في فيينا في مناسبة احتلالها: "بصفتي القائد ورئيس وزراء الأمة الألمانية والرايخ، أعلن أمام التاريخ من الآن وصاعداً دخول وطني (النمسا) في الرايخ الألماني".<sup>133</sup> وأعلن غوبلز صراحة أن: "المدافع تتكلم دوماً لغة جديدة".<sup>134</sup> أما الإنكليز والفرنسيون، فاكثفوا بتسجيل موقف احتجاج تجاه ضمّ ألمانيا النمسا.<sup>135</sup>

إن التهديد بالمدفع، هو الذي مكّن هتلر من تصعيد الموقف في أوروبا والاستيلاء على مقاطعة "السوديت" (Sudetengebiet) التشيكية، التي كان أهلها ينطقون بالألمانية، ورضخ الإنجليز والفرنسيون مرة أخرى لمطالبه في مؤتمر ميونيخ في 29 أيلول 1938 تجنباً لاندلاع حرب.<sup>136</sup> فتشجع هتلر بالموقف الضعيف للدول الديمقراطية، واحتل العاصمة التشيكية براغ في 10 مارس 1939، رغم كلمة الشرف التي كان غورينغ قد قطعها للتشيكين بأن بلاده ليس لديها نوايا عدوانية تجاه براغ ولن تحتلها.

لم يبق أمام هتلر لتنفيذ مشروعه "الشرقي" سوى احتلال بولندا. فاستغل فشل التحالف بين القوى الغربية والاتحاد السوفياتي، وأبرم مع الأخير معاهدة "عدم اعتداء" في 23 آب 1939، وتم التوافق بينهما في بند سري على تقاسمهما "الغنائم" في بولندا وبحر البلطيق<sup>137</sup> وفي الأول من أيلول 1939، غزا هتلر بولندا، فيما توسع الاتحاد السوفياتي في جمهوريات البلطيق وأجزاء من بولندا. فلم تجد بريطانيا وفرنسا بدلاً من إعلان الحرب على ألمانيا. كانت حجة هتلر في احتلال بولندا هو توحيد الشعب الألماني، الذي فصل الممر البولندي إلى بحر البلطيق بموجب معاهدة فرساي بين بروسيا الشرقية وباقي ألمانيا، إضافة إلى مسألة دانزيغ (Danzig).<sup>138</sup>

بناءً على سياسة هتلر التوسعية، انخرط العالم في حرب عالمية، فتمكنت ألمانيا بسهولة من احتلال الدانمارك والنرويج وهولندا وبلجيكا وفرنسا والبلقان، ثم شنت الحرب على الاتحاد السوفياتي عام 1941، بينما عجزت عن غزو بريطانيا. وما لبثت اليابان والولايات المتحدة أن تورطتا في الحرب، بعد شن الأولى هجومها على الأسطول الأميركي في بيرل هابر (Pearl Harbour) في 7 كانون الأول 1941.

## VII - قومية ودولتان على أرض ألمانية حتى عام 1990

كانت الحرب العالمية الثانية حرباً شمولية مسارحها في أوروبا وإفريقيا وآسيا. فاستمرت حتى عام 1945، وعندما انتهت بهزيمة "دول المحور"، بلغ ضحاياها من القتلى والجرحى والمشوهين ملايين البشر، فضلاً عن تعديات على حقوق الإنسان، وارتكاب الجرائم والمجازر، وفوق كل شيء استخدام السلاح الذري ضد المدنيين. وقد أقام الحلفاء آخر عمل مشترك لهم بعقد محاكمات في نورنبرغ للقيادات النازية في ما يتعلق بجرائم الحرب.<sup>139</sup> أما هتلر، ففضل الانتحار، بينما أعدم حليفه موسوليني على أيدي مواطنيه الإيطاليين. أما بقية "مجرمي الحرب" من القيايين الألمان، فأحيلوا إلى محكمة نورنبرغ، فحكم على عشرة منهم بالإعدام، فيما انتحر غورينغ في زنزانته بتناول السم.<sup>140</sup>

ومن النتائج السياسية للحرب، عودة الحدود الدولية في أوروبا إلى ما كانت عليه، باستثناء الحدود البولندية - الألمانية، وتراجع نفوذ بريطانيا وفرنسا لصالح قطبين جديدين هما الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي، يتقاسمان العالم من ناحية النفوذ، بين كتلة شرقية تخضع للاتحاد السوفياتي ويُعبر عنها بـ "حلف وارسو"، وكتلة غربية بزعامة الولايات المتحدة الأميركية تكتلت في "حلف شمال الأطلسي" (الناتو).<sup>141</sup>

### - مآزق القومية الألمانية: شعب واحد في دولتين

إثر هزيمتها في الحرب، فقدت ألمانيا وحدتها السياسية والقومية، وجرى تقسيمها إلى مناطق عسكرية محتلة بين الحلفاء. كما قُسمت برلين بدورها بين الحلفاء، ووضعت بداية تحت سلطة رباعية مشتركة إلى أن يحين اليوم الذي أصبح فيه مركزاً للحكومة الألمانية المنشودة.<sup>142</sup> لكن سرعان ما توتر الوضع الدولي واتجه نحو حرب باردة، ما أسفر في عام 1949 عن انقسام ألمانيا إلى دولتين متنافستين: ألمانيا الاتحادية، التي سارت في سياسة الاندماج بالغرب،<sup>143</sup> وألمانيا الديمقراطية، التي ارتبطت بالكتلة الشرقية.<sup>144</sup> ومن خلال تقسيم ألمانيا أو تقاسمها وإضعافها، ضمنت أوروبا والعالم أمنهما بمنع تكرار الحرب.<sup>145</sup> فأصبح الألمان يعيشون في دولتين منفصلتين متعاديتين ومتباينتين في التطور الاجتماعي - السياسي - والاقتصادي،<sup>146</sup> بعدما قضت السياسة على وحدة الأرض والشعب والاقتصاد. أما من ناحية السكان والمساحة، فبلغ عدد سكان ألمانيا الديمقراطية يُعيد الحرب 19 مليوناً، مقابل حوالي 45.5 مليوناً في ألمانيا الاتحادية، ماعدا برلين.<sup>147</sup>

حتى تشرين الأول 1990، تاريخ ذوبان ألمانيا الديمقراطية وانضمامها إلى ألمانيا الاتحادية، نهجت كل من الدولتين نهجاً اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً مغايراً للأخرى. فاعتمدت ألمانيا الاتحادية الديمقراطية والنظام الرأسمالي الليبرالي، والتعددية الحزبية، وانضمت إلى "حلف شمال الأطلسي"، وإلى السوق الأوروبية المشتركة، وحصلت على معونات اقتصادية منذ عام 1948 بموجب "خطة مارشال" (Marshallplan)،<sup>148</sup> ما مكنها من تحقيق معجزتها الاقتصادية في عهد كونراد أديناور (Konrad Adenauer 1876-1967).<sup>149</sup> وبسبب الانقسام الإيديولوجي والسياسي بينهما، أطلقت ألمانيا الاتحادية على غريمتها احتقاراً تسمية "المنطقة السوفياتية المحتلة". أما ألمانيا الديمقراطية، فسارت في نظام اجتماعي اشتراكي دكتاتوري قمعي، وأحادية حزبية تمثلت بـ "حزب الوحدة الاشتراكي الألماني" (Sozialistische Einheitspartei Deutschlands = SED)، وانضمت إلى "حلف وارسو"، وخضعت للإرادة السوفياتية، وجعلت من أراضيها قواعد للجيش الأحمر، ومن برلين (الشرقية) عاصمة لها. كما انضمت إلى "مجلس التعاون الاقتصادي" (Rat für gegenseitige Wirtschaftshilfe)، الذي كان يدور في فلك الاتحاد السوفياتي. فكانت حكومة ألمانيا الشرقية مجرد سلطة قمعية في مواجهة شعبها.<sup>150</sup>

وباندلاع الحرب الباردة، حاول السوفييات عامي 1948/1949 الاستيلاء على برلين (الغربية)، فضربوا الحصار عليها. لكن الغرب أمّد المدينة المحاصرة بحاجاتها

عبر جسر جوي.<sup>151</sup> وبسبب النظام الشيوعي وبطش الاحتلال السوفياتي، فرّ من ألمانيا الشرقية إلى ألمانيا الاتحادية بين عامي 1949 و1961 حوالي 2.6 مليون نسمة، من ضمنهم سكان في برلين (الشرقية). لذا، أقامت حكومة ألمانيا الديمقراطية "جدار برلين" في آب 1961، مقسمة بذلك المدينة والشعب الواحد إلى شطرين وشعبين منفصلين، مبررة خطوتها بأن الجدار هو لحماية نفسها من الفاشية الحاكمة في ألمانيا الاتحادية.<sup>152</sup> لكن الحقيقة، أن الجدار أقيم في أوج الحرب الباردة، كأزمة كوبا عام 1962.<sup>153</sup> وليس الجدار ما فصل بين أبناء الشعب الواحد فحسب، وإنما آلاف الجنود الألمان الشرقيين، المنتشرين على الحدود بين البلدين، فضلاً عن 10 آلاف جهاز إطلاق نار تلقائي آلي وحقول ألغام وحُفر عميقة.<sup>154</sup>

أدى إنشاء كل من ألمانيا الاتحادية وألمانيا الديمقراطية وارتباطه بالحرب الباردة إلى اتهامات متبادلة بين الدولتين الألمانييتين حول تمثيل الشعب الألماني. فاعتبرت حكومة بون نفسها وبدعم من القوى الغربية وبنص دستوري أنها خليفة "الرايخ الثالث" والممثل الشرعي الوحيد للشعب الألماني التي من واجبها إعادة توحيد.<sup>155</sup> فاتهمت بون ألمانيا الديمقراطية بأنها صنّعة موسكو وليست شرعية، تحكمها أقلية شيوعية بعيدة عن الديمقراطية والتأييد الشعبي. فسارت منذ عام 1955 في سياسة لعزلها دولياً، مستخدمة في ذلك "سلاحاً" سياسياً - اقتصادياً عُرف بـ "مبدأ هالشتاين" (Die Hallstein Doktrin)<sup>156</sup>، الذي قضى بقطع بون علاقاتها الدبلوماسية والاقتصادية والثقافية بكل دولة تعترف ببرلين الشرقية، لأن ذلك يزيد الانقسام في ألمانيا<sup>157</sup>. فكان "مبدأ هالشتاين" سوطاً موجهاً ضد ألمانيا الديمقراطية في ما يتعلق بحصولها على الشرعية الدولية خارج المعسكر الشرقي، وضد دول العالم الثالث، التي كانت تعتمد على مساعدات التنمية الاقتصادية من ألمانيا الاتحادية، كي لا تُقدم على الاعتراف بحكومة برلين<sup>158</sup>.

وفي المقابل، سارت حكومة برلين (الشرقية) بداية في سياسة تقوم على التنصل من إرث النازية وجرائمها، واعتبار نفسها ألمانيا الجديدة الساعية إلى السلام وإقامة مناطق منزوعة السلاح النووي في وسط أوروبا. فتوقعت حتمية انتصار نظامها الاشتراكي وسيادته على كل ألمانيا، ما يكفل محو الماضي النازي وعدم انطلاق حرب جديدة من أراضيها.<sup>159</sup> كما عمدت إلى إرباك علاقة ألمانيا الاتحادية بالدول الغربية والناطو،<sup>160</sup> والتشهير بها لدى دول العالم الثالث كدولة إمبريالية تسيطر عليها العناصر النازية،<sup>161</sup> والتي من أرضها انطلقت حربان عالميتان. وبعد عام 1955، منذ أن أقيمت العلاقات الدبلوماسية بين بون وموسكو، تكرست نظرية الدولتين الألمانييتين، وجرى التعبير عنهما نهائياً ببناء جدار برلين عام 1961. فسارت ألمانيا الديمقراطية قُدماً في سياسة تقوم على الادعاء بأنها إحدى الدولتين اللتين خلفتا الرايخ الألماني، وأخذت تروج إلى أن حلّ المسألة الألمانية ومسألة برلين، لا يتم إلا سلماً من خلال معاهدة سلام بين الألمانييتين تعترف بموجبها كل دولة بالأخرى قانونياً.<sup>162</sup>

ولتثبيت نظرية الدولتين الألمانييتين، بدأ الصراع بين برلين وبون في العالم، وكأنه بين قوميتين متطاحنتين، مشحوناً بالإيديولوجية. فعمدت برلين إلى الانفتاح على دول العالم الثالث، بهدف الحصول منها على الاعتراف الدبلوماسي وتحقيق مقولة الدولتين الألمانييتين. صحيح أن اقتصاد ألمانيا الاتحادية ظل الأقوى عالمياً، إلا أن ألمانيا

الديمقراطية شكّلت ازعاجاً لها، خصوصاً بين عامي 1965 و1972، عندما تدهورت العلاقات بين القاهرة وبون وبالتالي بين العرب وألمانيا الاتحادية، بعد الكشف عن صفقات الأسلحة المقدمة من ألمانيا الاتحادية إلى إسرائيل، وردّ الرئيس عبد الناصر على ذلك بدعوة فالتر أولبرشت (Walter Ulbricht 1893-1973)، رئيس مجلس الدولة في ألمانيا الديمقراطية، إلى زيارة مصر. فشكّل السلوك المصري تحدياً وخرقاً لمبدأ هالشتاين، خاصة عقب اعتراف بون بتل أبيب وبالتالي قطع دول عربية علاقاتها الدبلوماسية بألمانيا الاتحادية. لكن أزمة عام 1965، كانت من الأشياء التي فرضت على بون في عهد حكومة براندت/شيل (Brandt/Scheel)، إعادة النظر في سياستها تجاه برلين. فتوقفت عن الإدعاء الأحادي لتمثيل الشعب الألماني، أي تخلت عملياً عن "مبدأ هالشتاين"، ما أفسح في المجال أمام دول العالم للاعتراف بألمانيا الديمقراطية.

بعد عام 1972/1973، بدأ تطبيع العلاقات بين الألمانيتين يسير تدريجياً عبر اتفاقات السفر والمواصلات وجمع الشمل والتعاون التقني والثقافي، فضلاً عن القروض المالية المقدمة من بون إلى حكومة برلين الشرقية بين عامي 1983 و1984،<sup>163</sup> تزامناً مع الانفراج الدولي بين الشرق والغرب، ما جعل البعض يعتقد أن نظرية الدولتين الألمانيتين تكرست حقيقة واقعة. فحكومة برلين، حققت هدفها بإرتكازها على اعتراف دولي، بينما أمّلت حكومة بون في أن تتمكن من خلال اتفاقاتها مع برلين من تحسين الوضع الإنساني في ألمانيا الديمقراطية وإعادة توحيد ألمانيا. فقلبت الأحداث في شرق أوروبا بين عامي 1989 و1990، كل التوقعات رأساً على عقب.

## VIII - الوحدة الألمانية الآتية من "الشرق"

عندما قام أريش هونيكر (Erich Honecker 1912-1994)، رئيس مجلس الدولة في ألمانيا الديمقراطية في أيلول 1987 بزيارة إلى ألمانيا الغربية، اعتقد أن نظرية الدولتين الألمانيتين قد ترسخت إلى الأبد. لكن سياسة الرئيس السوفيياتي ميخائيل غورباتشوف (Michail Gorbatschow) (1931... في الانفتاح على الغرب، والتغيير السياسي والاقتصادي من الداخل، فضلاً عن التقارب مع واشنطن، وعلاقاته الاقتصادية القوية ببون، شكّلت تهديداً لمركز برلين تجاه بون وموسكو، حيث رفضت القيادة السياسية في برلين دعوات موسكو لإجراء إصلاحات داخلية أو التحول نحو الديمقراطية والنهوض باقتصادها المتداعي، مصرة على التمسك باشتراكيتها البالية. فكان هذا كافياً لأن تنتقل إليها عدوى الثورة.

إن انتهاء الحرب الباردة بفضل غورباتشوف، والتي كانت أساساً لقيام ألمانيا الديمقراطية واستمرارها، شكّل إسفيناً في شرعية ألمانيا الديمقراطية وما تمثله. صحيح أن الأخيرة لم تكن الدولة الشيوعية الأولى التي أنهت سيطرة الحزب الواحد، إذ سبقتها إلى ذلك بولندا وهنغاريا، إلا أن التغييرات التي حصلت في البلدين الأخيرين، طرحت بحدة مصير ألمانيا الديمقراطية، التي لم تفهم على ما يبدو، ما حصل من تطورات في المعسكر الشرقي. حتى أن هيلموت كول (Helmut Kohl) (1930...)، رئيس الوزارة في ألمانيا الاتحادية، لم يتخيل يوماً أنه سيعيش ليرى ألمانيا موحدة، وكل ما تمناه أن تسفر الأحداث العاصفة في شرق أوروبا وتزايد عدم الرضى في ألمانيا الديمقراطية، عن إحلال قيادات شابة محلّ "الهرمة" في "حزب الوحدة الاشتراكي الألماني".<sup>164</sup> فصرح في 8

تشرين الثاني 1989، بأنه على استعداد لأن يقدم مساعدات اقتصادية إلى برلين تأخذ أبعاداً جديدة، إذا ما تخلى الحزب هناك عن أحادية السلطة، وسمح بالتعددية الحزبية، وضمن انتخابات حرة.<sup>165</sup>

متأثرين بالأحداث في شرق أوروبا وبـ "البيريسترويكا" لغورباتشوف، عبّر الألمان الشرقيون عن رفضهم العيش في ظل النظام الشيوعي<sup>166</sup> بفرار عشرات الآلاف منهم من البلاد إلى النمسا فألمانيا الاتحادية عبر الحدود الهنغارية،<sup>167</sup> أو عبر السفارات الألمانية الغربية في براغ ووارسو.<sup>168</sup> وفي شهر تشرين الثاني 1989، اتسعت حركة النزوح، عندما فتحت تشيكوسلوفاكيا حدودها مؤقتاً مع ألمانيا الديمقراطية، ففر أكثر من 160 ألف شخص، تبع ذلك تظاهرات مطالبة بالإصلاح وبناتخابات حرة غير مزيفة، من دون أن تُطرح مسألة توحيد ألمانيا.<sup>169</sup> فجرت المطالبة أولاً بإصلاحات اجتماعية واقتصادية، ثم تحولت بعد ذلك إلى حركة ديمقراطية سياسية لإسقاط النظام الشيوعي وإعادة توحيد الشعب الألماني.<sup>170</sup>

في الذكرى الأربعين لقيام ألمانيا الديمقراطية، في 6 تشرين الأول 1989، قمعت السلطات هناك بقسوة التظاهرات المعارضة لها في المدن الألمانية، ما دفع عشرات الآلاف من المواطنين في أنحاء البلاد إلى النزول إلى الشوارع. فكانت تظاهرات درسدن (Dresden) ولايبزيغ (Leipzig) وبرلين ومدن أخرى بين 3 تشرين الأول و9 تشرين الثاني 1989 إيذاناً ببداية النهاية للحكم الشيوعي.<sup>171</sup> ففتحت المعابر الحدودية، وخاصة في برلين المقسمة، حيث اقتحمت الجموع المعابر وحطمت الجدار، وعند بوابة براندنبورغ (Brandenburger Tor)، تدفق آلاف المواطنين بالسيارات ومشياً على الأقدام إلى برلين الغربية، يتفحصون بالعين المجردة الديمقراطية الحقيقية التي سمعوا عنها من بُعد وعبر وسائل الإعلام، وينشدون الأغاني الحماسية محتفلين بهذه اللحظة التاريخية، فيتزودون من برلين الغربية بالسلع الكمالية والحياتية التي افتقدوها في ظل النظام البالي والأزمة الضاربة. كان اختراق جدار برلين لا يعني فتح الحدود والتحرر من دكتاتورية الحكم الشيوعي، بل إعادة اللحمة بين أبناء الشعب الواحد. كانت الجماهير تصيح: "نحن الشعب... نحن شعب واحد... وألمانيا هي وطننا الوحيد".<sup>172</sup> وهذا ما شجع المتظاهرين على المطالبة برحيل الحكم الشيوعي. فاستقال هونيكير في 18 تشرين الأول تحت ضغط المكتب السياسي للحزب، وحلّ محله أيغون كرننز (Egon Krenz 1937...)، تبعه في الاستقالة مجلس الوزراء والمكتب السياسي للحزب في السابع من تشرين الثاني.<sup>173</sup>

وفي ضوء هذه التطورات، استعمل هيلموت كول سياسة حكيمة تقضي بعدم استفزاز السلطات في ألمانيا الشرقية، أو القوى الحزبية والعسكرية السوفياتية المطالبة بحلّ المسألة على "الطريقة الصينية"<sup>174</sup>. فرأى أن إنهاء تقسيم ألمانيا لا يتم إلا من خلال أوروبا موحدة.<sup>175</sup> فطرح خطة من عشر نقاط في 28 تشرين الثاني، قامت على إنهاء تقسيم ألمانيا وأوروبا، والحوّل دون حصول فوضى في ألمانيا الشرقية، وتقديم مساعدات عاجلة لها، وكسب التأييد الدولي لقيام حكومة ألمانية شرقية ديمقراطية وشرعية، ومن ثم عقد اتفاقات ثنائية بينها وبين ألمانيا الاتحادية تمهد لقيام كونفيدرالية بينهما.<sup>176</sup> فتمكن بذلك من تهدئة مخاوف الدول المجاورة بفضل الدعم الأميركي تجاه التحفظات الفرنسية والبريطانية والسوفياتية.<sup>177</sup> فألمانيا موحدة، أنعشت الذاكرة التاريخية لدى الأوروبيين بأن حربين عالميتين انطلقتا من ألمانيا، وأن إعادة توحيدهما قد يؤدي إلى ظهور "هتلر جديد". فأبلغ كول في اجتماع حلفي الناتو ووارسو في أوتاوا في شباط 1990 بأن ألمانيا ستكون "شريكاً جديراً بالثقة" في عملية بناء نظام سلمي في أوروبا، وأن أوروبا ستكون مستقبل ألمانيا. فلا وجود لألمانيا موحدة من دون الاندماج في أوروبا.<sup>178</sup> وعلى هذا الأساس، تفاوض كول مع القيادة

الجديدة في برلين. فلقاء تحمل حكومته مسؤولية الاقتصاد الألماني الشرقي المنهار والشؤون الاجتماعية والبنى التحتية وتثبيت العملة، طالب في المقابل بتطبيق النظام الاقتصادي الألماني الغربي كاملاً في ألمانيا الديمقراطية.<sup>179</sup>

في منتصف كانون الثاني 1989، صرح هونيكر، رداً على أحداث شرق أوروبا، وما أشيع عن قرب سقوط جدار برلين، بأن "الجدار سيقى قائماً لمدة 50 سنة وحتى 100 سنة"<sup>180</sup>. لكن تبين أن توق الشعب الألماني إلى الديمقراطية والحرية قد اختزل هذه السنوات الطوال بعشرة شهور قليلة لتكون كافية لسقوط الجدار الفاصل والبدء بظهور ألمانيا الموحدة. وهذا ما شجع كول على إعطاء الألمان الشرقيين جرعة جديدة من التفاؤل والأمل في ثورتهم، عندما خاطبهم في العاشر من تشرين الثاني 1989 بالقول: "أنتم لستم وحدكم في هذه الساعة التاريخية، وعليكم متابعة نضالكم من أجل بقاء الحرية... نحن نقف إلى جانبكم. نحن أمة واحدة".<sup>181</sup>

بُعِيد سقوط الجدار نهائياً، توالى الأحداث المتسارعة، وأهمها خمسة: محاولة فاشلة لحزب الوحدة الاشتراكي الألماني بتقديم الوعود بإدخال الديمقراطية إلى البلاد؛ هجوم المتظاهرين في برلين الشرقية في 15 كانون الثاني 1990 على مبنى المخابرات الألمانية الشرقية؛<sup>182</sup> بدء الحكومة الألمانية الاتحادية بخطوات للتأثير في الإصلاحات في ألمانيا الشرقية ووضع الأسس للوحدة السياسية والاقتصادية؛ الانتخابات البرلمانية الحرة للمرة الأولى في ألمانيا الديمقراطية في آذار 1990؛ وأخيراً، اتفاق وزراء الخارجية في "حلف شمال الأطلسي" و"حلف وارسو" في أوتوا في منتصف شباط 1990 على تصور مشترك لإعادة توحيد ألمانيا. ففتحت بذلك الطريق أمام مفاوضات "2 زائد 4"<sup>183</sup> في بون في الخامس من أيار 1990، وفي برلين وباريس على التوالي خلال شهري حزيران وتموز بحضور ممثلين بولنديين (مسألة الحدود الألمانية - البولندية)، وأخيراً في موسكو في 12 أيلول. وفي التاريخ الأخير، وقع وزراء خارجية الدول الست على "الاتفاق حول الوضع النهائي في ما يخص ألمانيا". فكان التفاهم الأميركي - السوفياتي في 16 تموز 1990 حول دخول ألمانيا الموحدة إلى الناتو، والمفاوضات الألمانية - السوفياتية الناجحة في موسكو والقوقاز، نقطتا تحول في موضوع إتمام الوحدة الألمانية.<sup>184</sup> فأصبحت الوحدة غير المتوقعة سابقاً واقعاً لا مفر منه، وقاب قوسين، حتى أن قلبي براندت (Willy Brandt 1913-1992)، رئيس الوزراء الأسبق وواضع سياسة الانفتاح على ألمانيا الديمقراطية منذ مطلع السبعينات، قال جملته الشهيرة في المناسبة: "الآن يلتئم ما هو في الأصل واحد"، معتبراً أن تقسيم ألمانيا بواسطة الجدران الاسمنتية الفاصلة والأسلاك الشائكة ودوريات الموت هو ضد حركة التاريخ.<sup>185</sup>

وأثناء ذلك، في 21 حزيران 1990، صوت البرلمان والبوندستاغ في ألمانيا الاتحادية لصالح إدخال ألمانيا الديمقراطية في اقتصاد السوق، واستبدال عملتها بالمارك الألماني، فضلاً عن اعتمادها نظام الضمان الاجتماعي المتبع في ألمانيا الاتحادية. وبعد تذليل العقبات مع الاتحاد السوفياتي في مسألة التعويضات المالية لانسحاب الوحدات السوفياتية من ألمانيا الديمقراطية،<sup>186</sup> ومع بولندا في مسائل الحدود، وتوصل موسكو وواشنطن إلى اتفاق حول دخول ألمانيا الموحدة إلى حلف الناتو، عُقد في الأول من تموز اتفاق بين الدولتين الألمانييتين تضمن مسائل ثلاث: الوحدة الاقتصادية، ووحدة العملة، والشؤون الاجتماعية.<sup>187</sup> وفي 23 آب 1990، وافق البرلمان في ألمانيا الديمقراطية على الانضمام إلى ألمانيا الاتحادية ابتداء من 3 تشرين الأول 1990، وفي 31 آب، جرى التوقيع على المعاهدة الثنائية المتعلقة بآلية انضمام ألمانيا الشرقية إلى ألمانيا الاتحادية،

وعلى معاهدات "2 زائد 4" مع القوى الأربع المنتصرة في الحرب العالمية الثانية. وفي الثالث من تشرين الأول، أصبحت أحكام القانون الأساسي المعمول به في ألمانيا الاتحادية سارية المفعول في ألمانيا الديمقراطية. فرفع على مبنى الرايخ الألماني علم ألمانيا الاتحادية لأول مرة منذ أكثر من أربعين عاماً. فانتهت ألمانيا الديمقراطية من دون سكب الدموع عليها. لقد تمكن الألمان من أن يعيشوا مرة أخرى تجربة الوحدة،<sup>188</sup> فكانت البداية على أساس مجتمعين في دولة واحدة.

## IX – استنتاج

لقد تطلب تحقيق الوحدة الألمانية عام 1870 الكثير من الجهد الفكري والسياسي والاجتماعي والاقتصادي والعسكري، وترافق مع مشكلات داخلية وخارجية: النشرذم السياسي، واقتصاد السوق غير الموحد، وما تُوثره وحدة ألمانيا في الجغرافية – السياسية لأوروبا. إن خوف النمسا وفرنسا من قومية ألمانية موحدة، كان له ما يبرره، وهذا ما ثبت بعد إلحاق الهزيمة بهما على يد بروسيا على التوالي عامي 1866 و1870، فأصبحت بذلك ألمانيا الموحدة أقوى قوة برية في وسط أوروبا. لكن عدم قبول الرايخ الألماني الاندماج في أوروبا في عصر الإمبراطور قلهلم الثاني، وسعي الأخير إلى تحويل بلده إلى قوة عالمية تنافس الدول الأوروبية الأخرى، مهد للصراع بين القومية الألمانية والقوميات الأوروبية الأخرى من منطلق إمبريالي. فكان هذا كافياً لتقف ألمانيا "وحيدة" في الحرب العالمية الأولى أمام بقية الدول الإمبريالية الكبرى.

وقد تكون كل من ألمانيا والقوى الدولية التي اجتمعت في فرساي عقب انتهاء الحرب مسؤولة عما حصل من تطورات في ألمانيا كانت وراء اندلاع الحرب العالمية الثانية. فتحميل ألمانيا وحدها مسؤولية اندلاع الحرب، وفرض التعويضات المرهقة على الشعب والاقتصاد الألمانيين، وبالتالي عدم دمج ألمانيا بالنظام الأوروبي بعد الحرب وإقامة سلام عادل، هو ما أفسح في المجال أمام ظهور التطرف، وتأجج مشاعر العداة التاريخية لكل "غريب"، وعودة العسكارية البروسية القديمة لتظل برأسها منذ تسلم هتلر الحكم عام 1933. فكان سقوط حكومة فايمر وظهور الرايخ الثالث كمؤشرين على عدم اندماج ألمانيا في النظام الأوروبي بعد الحرب، وشهوات الانتقام من معاهدة فرساي وصانيعها، والتوسع في المجال الحيوي الشرقي لألمانيا، هي التي كانت تحرك الرايخ الثالث. وكما كان السعي إلى الهيمنة العالمية هو ما حرك قلهلم الثاني في مشروعه الإمبريالي العالمي، كذلك الحال، كانت الهيمنة العالمية في صلب مشروع هتلر، مع الفارق أنه أضاف إليها العنصرية.

ويبدو أن القوى الكبرى عملت من درسي الحربين العالميتين الأولى والثانية. فألمانيا موحدة هي مصدر قوة سياسية وعسكرية واقتصادية، وخطر أيضاً على أوروبا والعالم، ما يستجوب إضعافها على الدوام. فكان تقسيمها وتقسيمها بين الغرب والشرق ذريعة لأكثر من أربعة عقود، في ضوء الحرب الباردة. صحيح أن ألمانيا انقسمت إلى دولتين ذات نظامين اجتماعيين مختلفين وتوجهات سياسية متناقضة، إلا أن ألمانيا الاتحادية اعتبرت نفسها منذ اليوم الأول لقيامها أن من واجبها إعادة توحيد ألمانيا. واللافت، أن هذه المسألة انسجمت مع التصورات التي كان مؤسسو ألمانيا الاتحادية قد وضعوها سابقاً. فراهن كورت شوماخر (Kurt Schumacher) على أن الازدهار الاقتصادي والاجتماعي في ألمانيا الاتحادية سيجعل من بلده مركز استقطاب وقوة جذب اقتصادي بالنسبة إلى ألمانيا الديمقراطية. أما كونراد أديناور، فاعتقد أن اندماج ألمانيا في الغرب،



سيزيد من قوتها في ما لو حصلت مفاوضات مع الاتحاد السوفياتي حول مسألة إعادة توحيد ألمانيا. ومن جهته، أمن فلي براندت بأن التغيير في ألمانيا الديمقراطية إنما يحصل من خلال تقارب ألمانيا الاتحادية معها. وأخيراً، أدرك هيلموت كول أن إعادة توحيد ألمانيا مسألة يقرها عنصران: الشعب في ألمانيا الديمقراطية، والتوافق بين القوى الأربع المؤثرة في المسألة الألمانية. من هنا، استغل توق الشعب في ألمانيا الديمقراطية إلى الحرية، وانهيار الأوضاع الاقتصادية هناك، في ظل الأحداث في شرق أوروبا، لي طرح بمرونة ودبلوماسية عملية الوحدة، من دون أن يستفز السوفيات، وحتى البريطانيين والفرنسيين. وليضمن دعم الولايات المتحدة له، وافق على أن تكون ألمانيا "الجديدة" عضواً في حلف الناتو.

لقد سقطت حكومة ألمانيا الديمقراطية من دون أسف عليها، لأنها كانت إسماء على غير مسمى، فهي لم تعرف الديمقراطية أبداً، وقد لا يكون إطلاق تسمية "المنطقة الشرقية المحتلة" عليها مخالفاً للحقيقة. فقد خضعت للأوامر السوفياتية، وسيطر عليها نظام الحزب الواحد، وساد فيها قمع الحريات العامة والإعلامية، في ظل نظام اجتماعي قاهر واقتصاد لم يستطع أن ينافس نظيره في ألمانيا الغربية، أو أن يتمدد إلى خارج أوروبا الشرقية والعالم الثالث. ولهذا السبب، لم يكن النظام الاجتماعي الذي فرض على الألمان الشرقيين يعود إلى رغبتهم فيه، وإنما حصل في ظل قيادة دكتاتورية تابعة للسوفيات. في المقابل، تمكنت ألمانيا الاتحادية المندمجة بالغرب أن تكون، رغم تبعيتها للإميركيين، نموذجاً للتعددية السياسية والحزبية والاقتصاد القوي والاندماج الاجتماعي. فالأميركيون لم يتدخلوا في السياسة الداخلية لألمانيا الاتحادية، وكان يهتمهم التعاون الاستراتيجي. من هنا، كان على الألمان الشرقيين أن يتخلوا في لحظة واحدة عما "أنجزوه" خلال أربعين عاماً، لينضموا إلى ألمانيا الاتحادية بالشروط التي وضعتها مع الغرب والشرق.

لقد شكل انهيار الشيوعية في أوروبا الشرقية فرصة كبيرة أمام توحيد ألمانيا، وشكل هذا منعطفاً تاريخياً عالمياً، بالتزامن مع انتهاء الحرب الباردة. وعلى الرغم من كلفة الوحدة التي فاقت كل التصورات والتفكيرات، فإن إرادة التوحيد كانت أقوى من إرادة الانفصال. خلال القرن الثامن عشر كان الألمان موزعين على قرابة 360 دويلة وإمارة، وأصبحوا دولة موحدة بعد قرن من الزمن بفعل وضوح فكرة الوحدة لديهم وتشابك مصالحهم الاقتصادية ومتطلبات تكامل السوق، قبل السياسة. وخلال النصف الثاني من القرن العشرين انقسموا في دولتين متعاديتين، فكان الاقتصاد وحرية الفكر والتعبير عاملان أساسيان في طلب الألمان الشرقيين الوحدة. كذلك، كانت المصالح الاقتصادية وراء قيام السوق الأوروبية المشتركة، ووصول دول السوق إلى مرحلة من التكامل الاقتصادي وشكلت حافزاً على قيام الاتحاد الأوروبي. فهل بإمكان العروبة وما تمثله من تاريخ مشترك ولغة وثقافة واحدة وتشابك مصالح، أن تكون عامل توحيد لإثنين وعشرين دولة عربية ما يجمعها هو أكثر ما يجمع بين دول الاتحاد الأوروبي؟ في الوحدة تكمن القوة والتصميم والإرادة الجماعية للدخول إلى المستقبل، وفي التشرذم والانقسام والتخاذل واضطهاد الفكر ودفن الديمقراطية تنال الهزيمة منا المرة تلو الأخرى. فعسى أن تعي الشعوب العربية قبل أنظمتها أهمية التوحيد والتلاقي لعالم عربي تنخره الأمية والجهل والمرض والفقر، ما عرف يوماً مذاق الديمقراطية، كبثته أنظمتها واضطهده في سجن كبير.

## الحواشي

- 1 Guissepe Mazzini, <http://www.ohiou.edu/~chastain/ip/mazzini.htm>.
- 2 احتلت المنطقتان من قبل ألمانيا في حرب عام 1870، واسترجعتهما فرنسا عقب خسارة ألمانيا الحرب العالمية الأولى.
- 3 Ernest Renan, Qu'est-ce qu'une nation? Conférence faite du Sorbonne, le 11 mars 1882, in: [http://ourworld.compuserve.com/homepages/bib\\_lisieux/nation01.htm](http://ourworld.compuserve.com/homepages/bib_lisieux/nation01.htm)
- 4 حول الرابطة العثمانية والجامعة الإسلامية، راجع دراسة عبد الرؤوف سنو، "تطور الاتجاهات الإسلامية في الدولة العثمانية. من التنظيمات حتى نهاية عصر السلطان عبد الحميد الثاني"، في: *المنهاج*، - الحلقة الأولى 4 (1996) ص 34-86، الحلقة الثانية، 5 (1997) ص 85-131.
- 5 انظر في هذا الخصوص: Ernest Dawn, From Ottomanism to Arabism, Urbana ect. 1973.
- 6 حول مؤتمر باريس، أو المؤتمر العربي الأول عام 1913، راجع: وجيه كوثراني (تقديم ودراسة)، وثائق المؤتمر العربي الأول 1913. وكتاب المؤتمر والمراسلات الدبلوماسية الفرنسية المتعلقة به. الدولة العثمانية وظروف نشأة الحركة العربية، دار الحدائق، بيروت، لا ت.
- 7 حسن الأمين، سراب الاستقلال في بلاد الشام 1918-1920، رياض الرئيس للكتب والنشر بيروت 1998.
- 8 سامي خشبة: مصطلحات الفكر الحديث، ج2، ط مكتبة الأسرة، القاهرة 2006، ص 156.
- 9 في شأن الحركة العربية وألمانيا خلال الحرب العالمية الأولى، راجع: عبد الرؤوف سنو، ألمانيا والإسلام في القرنين التاسع عشر والعشرين، بيروت 2007، الفصل الثاني من الكتاب. وحول الحرب العالمية الثانية، أنظر: Gerhard Höpp/Peter Wien/René Wildangel (Ed.), Blind für die Geschichte? Arabische Begegnungen mit dem Nationalsozialismus, Zentrum Moderner Orient, Berlin, Klaus Schwarz Verlag Berlin, 2004; وقد ترجم الكتاب إلى العربية محمد جديد بعنوان: عريان عن التاريخ؟! العرب وألمانيا النازية واليهود، وراجعه زياد منى، قدموس للنشر والتوزيع، بيروت/دمشق 2007.
- 10 Geschichte. Ein Auszug aus "Tatsachen über Deutschland", Herausgg. Vom Presse- und Informationsamt der Bundesregierung, Societäts-Verlag Frankfurt/Main 1996 , p. 2.
- 11 Geschichte. Ein Auszug, op. cit., p. 7.
- 12 محمد مخزوم، مدخل لدراسة التاريخ الأوروبي (عصر النهضة)، طرابلس 1990، ص 178-185.
- 13 Peter Zolling, Deutsche Geschichte von 1871 bis zur Gegenwart, Bundeszentrale für politische Bildung, Bonn 2005, p. 13.
- 14 Sönke Neitzel, Weltkrieg and Revolution 1914-1918/19, Bundeszentrale für politische Bildung, Berlin 2008, p. 13.
- 15 انظر الفصل التاسع من كتابي: المصالح الألمانية في سوريا وفلسطين 1841-1901، بيروت 1987.
- 16 Zolling, op. cit., p. 15.
- 17 دوني كوش، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، ترجمة قاسم المقداد، دمشق، 2002، ص 17.
- 18 من الألمان المؤيدين للثورة الفرنسية في ذلك الحين: الشاعر Friedrich Gottlieb Klopstock، الذي امتدحها في أشعاره؛ والشاعر والفيلسوف والمؤرخ Johann Christoph Freidrich von Schiller.
- 19 دوني كوش، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، ص 17.
- 20 نقلاً عن: خليل أحمد حيدر، "ذلك السراب الفادح الثمن"، في: *جريدة الاتحاد الإماراتية*، 7 آب 2005.
- 21 Weltgeschichte in zehn Bänden, Band 6, übersetzt aus dem Russischem beim dem Deutschen Verlag der Wissenschaften, Berlin 1969, pp. 70-71.
- 22 هذا النداء هو في الحقيقة سلسلة من المحاضرات بدأ فيشتهه بإلقائها في برلين المحتلة منذ 13 كانون الأول 1807، ثم نشرت في العام التالي.
- 23 William Lawrence Shirer, Aufstieg und Fall des Dritten Reiches. Übersetzt aus dem Amerikanischen, Köln ect. N.d., p. 96.
- 24 نقلاً عن: خليل أحمد حيدر، "ذلك السراب الفادح الثمن"، في: *جريدة الاتحاد الإماراتية*، 7 آب 2005.
- 25 Joh. Gottlieb Fichte, Beiträge zur Berechtigung der Urteile des Publikums über die französische Revolution. Erster Teil: *Zur Beurteilung ihrer Rechtmässigkeit* (1793). Beigefügt die

- Rezension von Friedrich von Gentz, hergg. von Richard Schottky, Hamburg 1973, 114f.
- Erwin Roth, Pruessens Gloria im Heiligen Land. Die Deutschen und Jerusalem, München 1973, p. 61. <sup>26</sup>
- Peter Viereck, Metapolitics: The Roots of the Nazi Mind. New York, 1961. <sup>27</sup>
- Friedrich Ludwig Jahn, in: **Wikipedia**: <sup>28</sup>  
[http://en.wikipedia.org/wiki/Friedrich\\_Ludwig\\_Jahn#cite\\_ref-1](http://en.wikipedia.org/wiki/Friedrich_Ludwig_Jahn#cite_ref-1)
- Deutschlandlied, in: [http://en.wikipedia.org/wiki/Deutschlandlied#Historical\\_background](http://en.wikipedia.org/wiki/Deutschlandlied#Historical_background) <sup>29</sup>  
 وبين الحربين العالميتين، استعمل النشيد، فبينته حكومة فايمر، والنازيون في ما بعد.
- Joseph Grösses, in: [http://de.wikipedia.org/wiki/Joseph\\_G%C3%B6rres#Wirkungsgeschichte](http://de.wikipedia.org/wiki/Joseph_G%C3%B6rres#Wirkungsgeschichte): <sup>30</sup>  
 Ernst Moritz : [wikipedia.org/wiki/Ernst\\_Moritz\\_Arndt#Franzosenhass\\_und\\_Antisemitismus](http://wikipedia.org/wiki/Ernst_Moritz_Arndt#Franzosenhass_und_Antisemitismus) <sup>31</sup>
- Zolling, Deutsche Geschichte, p. 70. نقلا عن: <sup>32</sup>
- Shirer, Aufstieg, p. 97. <sup>33</sup>
- Die Arbeiterbewegung in der Revolution 1848/49، لكتاب مجهول. أنظر: <sup>34</sup>  
<http://www.studentshelp.de/p/referate/02/5389.htm>
- Walter Bußmann, „Europa von der Französischen Revolution zu den nationalstaatlichen Bewegung des 19. Jahrhunderts“, in: Theodor Schieder (Ed.), **Handbuch der Europäischen Geschichte**, vol. 5, Stuttgart 1981, pp.75-77. <sup>35</sup>
- Zolling, Deutsche Geschichte, p. 16. <sup>36</sup>
- عبد الرؤوف سنو، المصالح الألمانية في سوريا وفلسطين 1841-1901، بيروت 1987، ص 39-40. <sup>37</sup>
- سنو، المصالح الألمانية، ص 214-215. <sup>38</sup>
- بسام العسلي، المذهب العسكري الألماني 1750-1945، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق 1987، 131. <sup>39</sup>
- Richard H. Tilly, Vom Zollverein zum Industriestaat. Die wirtschaftlich-soziale Entwicklung Deutschlands 1834 bis 1914., München 1990, p. 40. <sup>40</sup>
- يجيب كتاب زيمان على كل المسائل المتعلقة بحال الاقتصاد الألماني ما بين التجزئة السياسية والاقتصادية إلى قيام الدولة الألمانية الموحدة عام 1870-1807. Deutschland 1807-1870. Beck, München 1995. <sup>41</sup>
- Wolfram Siemann: Vom Staatenbund zum Nationalstaat. Deutschland 1807-1870. Beck, München 1995.
- أنظر حول هذا الموضوع: سنو، المصالح الألمانية في سوريا وفلسطين، مرجع سبق ذكره، ص 214-216. <sup>42</sup>
- [http://de.wikipedia.org/wiki/Deutscher\\_Zollverein#cite\\_ref-18](http://de.wikipedia.org/wiki/Deutscher_Zollverein#cite_ref-18) <sup>43</sup>
- Industrielle Revolution, in: <sup>44</sup>  
[http://de.encyclopedia.msn.com/encyclopedia\\_761577952/Industrielle\\_Revolution.html](http://de.encyclopedia.msn.com/encyclopedia_761577952/Industrielle_Revolution.html)
- [http://de.wikipedia.org/wiki/Deutscher\\_Zollverein#Bedeutung\\_des\\_Zollvereins](http://de.wikipedia.org/wiki/Deutscher_Zollverein#Bedeutung_des_Zollvereins) <sup>45</sup>
- [http://de.wikipedia.org/wiki/Deutscher\\_Zollverein#cite\\_ref-50](http://de.wikipedia.org/wiki/Deutscher_Zollverein#cite_ref-50) <sup>46</sup>
- Deutsches Kaiserreich, in: [http://de.wikipedia.org/wiki/Deutsches\\_Kaiserreich](http://de.wikipedia.org/wiki/Deutsches_Kaiserreich) <sup>47</sup>
- بعد تأسيس الرايخ الألماني عام 1871، تحولت الدولة الألمانية (Deutsches Kaiserreich) إلى حيز تجاري وجمركي موحد. <sup>48</sup>
- Deutscher Zollverein, in: <sup>49</sup>  
<http://hgisg.geoinform.fh-mainz.de/multi4/startTemplAll.php?gebiet=57>
- Deutscher Zollverein, in: [http://de.wikipedia.org/wiki/Deutscher\\_Zollverein#cite\\_ref-47](http://de.wikipedia.org/wiki/Deutscher_Zollverein#cite_ref-47) <sup>50</sup>
- Richard H. Tilly, Vom Zollverein zum Industriestaat. pp. 42-44. <sup>51</sup>
- Hans Mottek/Walter Becker/Alfred Schröter, Wirtschaftsgeschichte: راجع في هذا الخصوص: <sup>52</sup>
- Bondi, pp. 124, 128. <sup>53</sup>
- Hans Mottek/Walter Becker/Alfred Schröter, Wirtschaftsgeschichte Deutschlands. Ein Grundriß, vol. 111, Von der Zeit der Bismarckischen Reichsgründung 1871 bis zur Niederlage des faschistischen deutschen Imperialismus 1945, VEB Verlag der Wissenschaften, Berlin 1974, pp. 161-168. <sup>54</sup>
- A. Sartorius von Waltherhausen, Deutsche Wirtschaftsgeschichte 1815-1914, 2. erg. Aufl., Jena 1923, p. 135. <sup>55</sup>

- Gerhard Bondi, Deutschlands Aussenhandel 1815-1870, Akademie – Verlag, Berlin 1958, p. 110. 56
- Manfred Görtenmaker: Deutschland im 19. Jahrhundert. 4. Auflage, Opladen 1994, p. 16. 57
- Von Waltherhausen, p. 168. 58
- J. Riesser, Zur Entstehungsgeschichte der deutschen Grossbanken mit besonderer Rücksicht auf die Konzentrationsbestrebungen, Jena 1906, pp. 23, 33-36. 59
- Walter Bußmann, „Vom Hl. Römischen Reich deutscher nation zur Gründung des Deutschen Reiches“, in: Theodor Schiller, *Handbuch der Europäischen Geschichte*, vol. V, op. cit., p. 483. 60
- Zolling, Deutsche Geschichte, p. 18. 492-486؛ ص المرجع السابق، 61
- هي الجمعية التي تشكلت في كنيسة باول (Paulskirche) بين 18 أيار 1848 و 31 أيار 1849، وانتخبت أول برلمان موحد لكل ألمانيا على أساس ديمقراطي، وأصدرت بناء عليه "دستور كنيسة باول" (Paulskirchenverfassung). ومع كل جهودها، فشلت الجمعية في تطبيق الدستور، بسبب رفض ملك بروسيا عرش الدولة الألمانية الاتحادية. 62
- Zolling, p. 22. 63
- Geschichte. Ein Auszug, p. 14. 64
- Bußmann, op. cited., pp. 497-498, 503,508-510. 65
- Olmützer Punktation, in: [http://de.wikipedia.org/wiki/Olm%C3%BCtzer\\_Punktation](http://de.wikipedia.org/wiki/Olm%C3%BCtzer_Punktation) 66
- Geschichte. Ein Auszug, p. 15. 67
- نقلا عن: العسلي، المذهب العسكري الألماني 1750-1945، مرجع سبق ذكره، ص 133. 68
- Zolling, pp. 25-26. 69
- Dänisch-deutscher Krieg, in: [http://de.wikipedia.org/wiki/Deutsch-D%C3%A4nischer\\_Krieg#Ergebnis](http://de.wikipedia.org/wiki/Deutsch-D%C3%A4nischer_Krieg#Ergebnis) 70
- Königreich Preußen, in: 71
- [http://de.wikipedia.org/wiki/K%C3%B6nig\\_von\\_Preu%C3%9Fen#1. Einigungskrieg: Deutsch-D.C3.A4nischer\\_Krieg](http://de.wikipedia.org/wiki/K%C3%B6nig_von_Preu%C3%9Fen#1. Einigungskrieg: Deutsch-D.C3.A4nischer_Krieg) 72
- يُطلق عليها أيضاً اسم "معركة سادوفا" (Sadowa). 72
- العسلي، مرجع سبق ذكره، ص 134. 73
- [http://de.wikipedia.org/wiki/K%C3%B6nig\\_von\\_Preu%C3%9Fen#1. Einigungskrieg: Deutsch-D.C3.A4nischer\\_Krieg](http://de.wikipedia.org/wiki/K%C3%B6nig_von_Preu%C3%9Fen#1. Einigungskrieg: Deutsch-D.C3.A4nischer_Krieg) 74
- Zolling, Deutsche Geschichte, p. 30. 75
- حشد "اتحاد شمال ألمانيا" أكثر من مليون جندي للعمليات والاحتياطيين الأول والثاني وقوات بديلة. 76
- Deutsch-Französischer Krieg 1870-1871, in: حول الحرب البروسية – الفرنسية، راجع: 77
- [http://de.wikipedia.org/wiki/Deutsch-Franz%C3%B6sischer\\_Krieg#E2.80.9ERache\\_f.C3.BCr\\_Sadowa.E2.80.9C](http://de.wikipedia.org/wiki/Deutsch-Franz%C3%B6sischer_Krieg#E2.80.9ERache_f.C3.BCr_Sadowa.E2.80.9C) 78
- Zolling, Deutsche Geschichte, p.28; نقلا عن: 78
- Zolling, p. 32. 79
- Zolling, p. 29. 80
- Armin Kössler, die Wirtschaftsinteressen des Deutschen Kaiserreichs in der Türkei 1871-1908 Freiburg 1981, p. 60. 81
- Kössler, p. 80. 82
- Deutsches Kaiserreich, in: [http://de.wikipedia.org/wiki/Deutsches\\_Kaiserreich](http://de.wikipedia.org/wiki/Deutsches_Kaiserreich) 83
- عن طريق طريق سلسلة من التحالفات: مع روسيا والنمسا "عصبة الأباطرة الثلاثة" (Drei Kaisersbund) منذ 1872، ومع النمسا/هنغاريا (1879)، ومع النمسا/هنغاريا وإيطاليا (1882)، ومع روسيا سراً (1887)، حاول بسمارك ان يعزل فرنسا ويحمي ألمانيا من شهوات انتقامها. 84
- Sönke, Weltkrieg und Revolution, p. 14. 85
- Grundmann, Gebhardt, Handbuch der deutschen Geschichte, vol. II, Hrsgg. Von Herbert 86
- Stuttgart 1973, p.331; .خاطب ماكس فيبر (Max Weber 1864-1920)، السياسي القومي وأحد أهم رواد علم الاجتماع، مواطنيه الألمان بالقول إن توحيد ألمانيا كان مجرد المدخل لدخول ألمانيا في سياسة عالمية، وعلى الألمان الكثير للقيام به في هذا المجال . Zolling, pp. 59-60 86
- Sönke, Weltkrieg und Revolution, pp. 16-17. 87
- مروان بحيري، أفردت. ماهان: أفكار وآراء حول القوة البحرية والشرق الأوسط كمفهوم إستراتيجي، في: *الفكر الاستراتيجي* 88

- العربي، 5 (1982)، ص 183 - 195. 89
- Sönke, Weltkrieg und Revolution, op. cit., pp. 14-16. 89
- زيارة إمبراطور ألمانيا وليم الثاني إلى طنجة عام 1905. 90
- ورسو الطراد الألماني "بانثر" (Panther) في ميناء أغادير عام 1911. 91
- نقلا عن: Zolling, Deutsche Geschichte, p. 66. 92
- حول هذا الموضوع، راجع الفصل الأول من كتابي: ألمانيا والإسلام في القرنين التاسع عشر والعشرين. 93
- حول هذا الانتقام، راجع الفصل الثاني من كتابي: ألمانيا والإسلام، مرجع سبق ذكره، الفصل الثاني. 94
- Höpp/Wien/Wildangel, Blind für die Geschichte, op. cit. 95
- العالم العربي في وثائق سرية ألمانية 1937-1941، ترجمة رزق الله بطرس، مراجعة وتقديم نجدة فتحي صفوة، الفرات للنشر والتوزيع، بيروت 2006، ص 16-17. 96
- Manfred Görtemaker, "Die Deutsche Frage in der internationalen Politik", in: *Der Weg zur Einheit, Information* 250, Überarbeitete Neuauflage 2005, p. 5. 97
- Geschichte. Ein Auszug, p. 17. 98
- Görtemaker, Die Deutsche Frage in der internationalen Politik, p. 6. 99
- Adolf Hitler, in: 100
- [http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A3%D8%AF%D9%88%D9%84%D9%81\\_%D9%87%D8%AA%D9%84%D8%B1](http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A3%D8%AF%D9%88%D9%84%D9%81_%D9%87%D8%AA%D9%84%D8%B1) 101
- Shirer, Aufstieg, pp. 79-84. 101
- Zolling, p. 134. 102
- بيع من الكتاب 9473 نسخة في عام 1925، و6913 في عام 1926، و3015 في عام 1928. وفي العام الأول من رئاسة هتلر لمجلس الوزراء، ارتفع عدد النسخ المطبوعة إلى مليون، فحقق هتلر مكافأة قدرها مليون مارك، وإلى 6 ملايين نسخة في عام 1940، بعدما تحول الكتاب إلى ما يشبه الأنجيل بالنسبة إلى الكثيرين من الألمان. 103
- Shirer, Aufstieg und Fall des Dritten Reiches, op. cit., pp. 78-79. 103
- Shirer, Aufstieg, pp. 235-248. 104
- يُعتبر الكتاب الذي أشرف عليه كل من Peter Steinbach/Johannes Tuchel, Widerstand gegen die nationalsozialistische Diktatur 1933-1945, Bonn 2004 المقاومة ضد النظام الهتلري، من مجتمعية وسياسية وكنسية وعسكرية، فضلاً عن ردود فعل هتلر تجاه محاولة الانقلاب عليه في 20 تموز 1944. كما يتضمن الكتاب ثلاث أبحاث حول مقاومة اليهود لهتلر. 105
- Geschichte. Ein Auszug aus "Tatsachen über Deutschland", op. cit., p. 19. 106
- Hildebrand, Das Dritte Reich, p.21. في الاستفتاء، أعلنت نسبة 91% من ألمان السار رغبتها في الانضمام إلى ألمانيا. 107
- أعطى هتلر أوامره إلى قيادة الجيش بمضاعفة عدد أفرادها من 100 ألف إلى 300 ألف حتى تشرين الأول 1934. وفي الأول من نيسان 1935، بدأ تطبيق الخدمة العسكرية الإلزامية، وتقرر أن يصل عدد أفراد الجيش إلى نصف مليون جندي. كما بدأت البحرية الألمانية ببناء سفن حربية بحمولة 26 ألف طن للوحدة، بينما سمحت معاهدة فرساي ببناء سفن لا تزيد حمولة الواحدة منها عن 10 آلاف طن. وحصل الشيء نفسه في عملية إعادة بناء السلاح الجوي الألماني. حول نقض هتلر معاهدة فرساي، راجع: Hildebrand, p. 28. ؛ وقارن بـ Shirer, Aufstieg, pp. 271-274, 280-284.. 108
- كان هدف هتلر من هذا الاتفاق، إطلاق يد بريطانيا في البحار، مقابل حصوله على يد طليقة في أوروبا. واعتقد أنه بذلك يستطيع أن يصل إلى تحالف مع بريطانيا. انظر: Oswald Hauser, England und das Dritte Reich. 1.er Band: Eine dokumentarische Geshichte der English-deutschen Beziehungen, 1933-1936, Stuttgart 1972, pp. 120ff. 109
- Hildebrand, Das Dritte Reich, p. 20. ؛Zolling, pp. 164; 167. 110
- Shirer, Aufsteig, p.79. 111
- Adolf Hitler, in: 112
- [http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A3%D8%AF%D9%88%D9%84%D9%81\\_%D9%87%D8%AA%D9%84%D8%B1](http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A3%D8%AF%D9%88%D9%84%D9%81_%D9%87%D8%AA%D9%84%D8%B1) 113
- Shirer, Aufstieg, p. 85. 113
- Zolling, p. 137. 114
- 115 Fritz Steppat, "Das Jahr 1933 und seine Folgen für die arabischen Länder des Vorderen Orients", in: Gerhard Schulz (Ed.), *Die Große Krise der dreißiger Jahre. Vom Niedergang der Weltwirtschaft zum Zweiten Weltkrieg*, Göttingen 1985, pp. 262-263.
- Hildebrand, Das Dritte Reich, pp. 40-41, 46- 47, 81-82. 116
- Hildebrand, Das Dritte Reich, p. 7. 117
- حول موضوع الترانسفير، راجع الفصل الثاني من كتاب عبد الرحمن عبد الغني، ألمانيا النازية وفلسطين 1933-1945، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت 1995. 118

- 119 من الدراسات الصادرة حديثاً وتتناول العنصرية منذ نشأتها في أوروبا في القرن الرابع عشر وتطورها في القرنين التاسع عشر والعشرين على أيدي النازيين، وارتباطها بالعداء للسامية، كتاب: George M. Fredrickson, Racism: A Short History, Princeton University Press 2003.
- 120 أنظر الفصل الثاني من كتابي، ألمانيا والإسلام.
- 121 حول كل المسائل العائدة لعلاقات ألمانيا بالعرب والمسلمين، راجع كتاب: Germany and the Middle East 1871-1945, edited by Wolfgang G. Schwanitz, Madrid 2004.
- 122 Zolling, pp. 176-177.
- 123 يعالج كلاوس هيلديبراند المرحلة الأولى لدكتاتورية هتلر تحت عنوان "الاستيلاء على الحكم والمساواة بين الولايات الألمانية". راجع: Klaus Hildebrand, Das Dritte Reich, pp. 3-16.
- 124 بلغ عدد رجال الشرطة المساعدة التي أشرف هرمان غورينغ (Hermann Göring) على إنشائها وسخرها لحماية هتلر (50 ألف عنصر)، ومن ضمنها 40 ألفاً من وحدات "SS" (Schutzstaffel) و"SA" (Sturmabteilung). انظر: Klaus Hildebrand, Das Dritte Reich, op. cit., p. 4.
- 125 Zolling, pp. 159-160.
- 126 Zolling, pp. 167, 172-174.
- 127 Zolling, pp. 151-
- 128 Hildebrand, Das Dritte Reich, pp. 45- 51.
- 129 Hildebrand, Das Dritte Reich, pp. 10-12, 18-20. ؛ Shirer, Aufstieg, pp. 251-255.
- 130 نقلاً عن: Zolling, pp. 184-185.
- 131 وافقت النمسا في هذا الاتفاق على اعتبار نفسها "دولة ألمانية"، وأن تتبع ألمانيا في سياستها الخارجية. Hildebrand, p. 27.
- 132 Shirer, Aufstieg, p. 330.
- 133 نقلاً عن: Zolling, p. 183.
- 134 Zolling, pp. 183-184.
- 135 Shirer, Aufstieg, pp. 330-331.
- 136 Zolling, pp. 185-186.
- 137 Shirer, Aufstieg, pp.497-502.
- 138 حول التطورات، من احتلال تشيكوسلوفاكيا وبولندا إلى الاتفاق الألماني – السوفياتي، راجع: Shirer, Aufstieg, pp. 399-502.
- 139 Anton Egner u. A., Geschichte 13: Die Welt auf dem Weg ins 21. Jahrhundert, Schroedel Verlag 2003, pp. 41-43.
- 140 Gerhart Binder, Geschichte im Zeitalter der Weltkriege. Unsere Epoche von Bismarck bis heute, vol. 2, 1945- bis heute, Stuttgart 1977, pp.878-879.
- 141 World War II, in:
- 142 [http://en.wikipedia.org/wiki/World\\_War\\_II#Casualties\\_and\\_war\\_crimes](http://en.wikipedia.org/wiki/World_War_II#Casualties_and_war_crimes)
- Anton Egner u. A., Geschichte 13: Die Welt auf dem Weg ins 21. Jahrhundert, , pp. 30-34.
- 143 Görtemaker, Die Deutsche Frage, pp. 7-8.
- 144 Hermann Weber, „Die Gründung der DDR“, in: **Deutschland Archiv** 9 (1984), pp. 964-968;
- Egner, Geschichte, pp.92-94.
- 145 Görtemaker, Die Deutsche Frage in der internationalen Politik, op. cit., p.4, 6-7.
- 146 Gerhart Binder, vol. 2, 1945- bis heute, Stuttgart 1977, pp. 900-902.
- 147 Deutschland 1945-1949, in: <http://geschichteverein-koengen.de/DtTeilung.htm>
- 148 Egner, Geschichte, pp. 22, 46.
- 149 بورغن وبيير، موجز تاريخ ألمانيا الحديث، ترجمة شفيق البساط، دار الحكمة، لندن 2005، ص 70-114.
- 150 لتفاصيل وافيه عن المرحلة الأولى من تاريخ ألمانيا الديمقراطية بين عامي 1949 و1971، أنظر وبيير، مرجع سبق ذكره، ص 115-137.
- 151 Geschichte. Ein Auszug, pp. 26-27.

- Deutsche Demokratische Republik, in: [http://de.wikipedia.org/wiki/Berliner\\_Mauer#cite\\_ref-0](http://de.wikipedia.org/wiki/Berliner_Mauer#cite_ref-0) 152  
Egner, Geschichte, pp.105-107, 130. 153  
يورغن ويبر، موجز تاريخ ألمانيا الحديث، ص 273. 154  
Heinrich End, Zweimal deutsche Aussenpolitik, Köln 1973, pp 25-28. 155
- Peter Hünslener, Die außenpolitischen Beziehungen der Bundesrepublik Deutschland zu den 156  
arabischen Staaten von 1949-1980, Frankfurt/Main usw. 1990, 19, 69; Hans-Joachim  
Spanger/Lothar Brock, die beiden deutschen Staaten in der Dritten Welt, Opladen 1987, p. 286.
- يُعتبر اعتراف ألمانيا الاتحادية بالاتحاد السوفياتي عام 1955 وتبادل العلاقات الدبلوماسية معه أول خرق لإدعاءات ألمانيا الاتحادية 157  
بتمثيلها الأحادي الشعب الألماني. انظر: Heinrich End, op. cit., pp.36ff. 158  
كانت حكومة برلين تروج إلى أن "مبدأ هالشتاين" مرتبط بابتزاز اقتصادي، راجع:  
Spanger/ Brock, op. cit., pp 286-287.
- PAAA Abt.7/807,"Die geschichtliche Aufgabe der Deutschen Demokratischen Republik und 159  
die Zukunft Deutschlands ", 17/7/1962.
- المشروع السوفياتي - الألماني/الشرقي(1954-1955) لتحديد ألمانيا بهدف عرقلة اندماج ألمانيا الاتحادية في الغرب، أنظر 160  
Helmut Kistler, Die Bundesrepublik Deutschland,  
Bonn 1985, p138; Hillgrüber, Europa in der Weltpolitik der Nachkriegszeit (1945-1963), 2.  
ergänzte Aufl. München/Wien 1981, 65.
- جا في إحدى الوثائق من ملفات أوتو غرونفول لعام 1956، أنه من أصل 38 جنراً في جيش ألمانيا الاتحادية، كان 31 منهم 161  
من أتباع هتلر، إضافة إلى 100 عقيد و84 ملازم أول. أنظر:  
SAPMO , BArch , NL 90/ 221, Bl. 93, 24.12.1956;  
هذا فضلاً عن عدد من كبار القيايين السياسيين والموظفين في وزارة الخارجية والسلك الدبلوماسي. قارن حول الموضوع ب:  
Dittmar, "DDR und Israel I", in *Deutschland Archiv* 7(1977), p 738;
- Die Deutschen und die Araber, Berlin(Ost) o.D., pp 26;  
Michael Wolffsohn, Die Deutschland Akte, München, 2. Aufl. 1996, p 36;  
PAAA, Abt.7/ 730, Duckwitz Aufzeichnung, Bonn 10.3.1960.
- BArch, SAPMO/NY90/221, Berlin 24.12.1956, Bl. 133. 162  
Görtemaker, Die Deutsche Frage, p. 10. . 280 ,211-210 ,209 ,206-202 ص 163  
ويبر، ص 353. 164  
Die Berliner Mauer, op. cit., p. 146. 165  
في الواقع، بدأت حركة الاحتجاج على النظام الدكتاتوري في 12 كانون الثاني 1989، عندما تظاهر ما بين 200 و800 شخص 166  
في مدينة لايبزيغ مطالبين بحرية التعبير والرأي والاجتماع. ومنذ ذلك التاريخ، اتسعت هذه الحركة. أنظر:  
Bernd Lindner, Die demokratische Revolution in der DDR 1989/1990 Bundeszentral für  
politische Bildung, Bonn 1998, pp. 7-14.  
للحكم في ألمانيا الديمقراطية، بدءاً من كانون الثاني 1989 وردود فعل السلطات عليها.  
وخلال ثلاثة أيام من فتح الحدود الهنغارية - النمساوية أمام مواطني ألمانيا الديمقراطية، تدفق نحو 15 ألف شخص إلى ألمانيا 167  
الاتحادية.
- Egner, Geschichte, p. 149. 168  
Hans – Hermann Hertle, Die Berliner Mauer//The Berlin Wall. Monument des Kalten  
Krieges//Monument of the Cold War, Bundeszentrale für politische Bildung, Bonn 2007, p. 140;  
Görtemaker, Zusammenbruch des SED-Regimes, op. cit., pp.21, 23-24.
- ويبر، ص 360-359. 169  
Lindner, Die demokratische Revolution, op. cit., pp. 15-18, 25-32.. 170  
المناسبة، وجاء فيها: ما هي هذه الحياة التي تتحول فيها الحقيقة إلى أكذوبة؟ ما هي هذه الحياة التي تدفن الحرية فيها؟ ما هي هذه الحياة  
حيث العجائز يحكمون. والناس يُقتلون على الحدود يُقتلون؟ ما هي هذه الحياة حيث يطبع الخوف الحياة يوماً، وحيث النهاية لا نهاية  
لها؟ ما هي هذه الحياة، حيث الثقة معدومة بين الجار وجاره، حيث الناس لا يبنون معاً؟ ما هي هذه الحياة، حيث تموت الأحلام، ولا  
شيء يمكن توريثه، سوى الموت؟ ما هي هذه الحياة، حيث كل شيء للأقلية، ولا مخرج للضعفاء؟ ما هي الحياة التي تفتقد إلى الحب،

---

وحيث الناس يتجمدون تدريجياً؟ وختم الشاعر أبياته بالقول: "ما هي هذه الحياة التي نعيشها؟؟؟ على المرء أن يعيش، ولكن هنا!! (في ألمانيا الديمقراطية). Lindner, p. 69.  
171 حول الانتفاضات والتظاهرات في ألمانيا الديمقراطية بين آب وتشرين الأول 1989، راجع: Lindner, Die demokratische Revolution, pp. 82-105.

172 نقلاً عن: Hertle, Die Berliner mauer, op. cit., p.156.  
173 Manfred Görtemaker, "Zusammenbruch des DED-Regimes. Der Weg zur Einheit", in: **Information** 250, Überarbeitete Neuauflage 2005, p. 21.

174 Görtemaker, „Beginn der deutschen Einigung. Der Weg zur Einheit“, in: **Information** 250 Überarbeitete Neuauflage 2005, p. 33.  
175 إلى ألمانيا الديمقراطية لإقفال الحدود ومنع الفرار منها.

176 Lindner, p. 130. و Görtemaker, Beginn der deutschen Einigung, p. 37.

177 Egner, Geschichte, p. 162.

178 Görtemaker, Die Verhandlungen mit den Vier Mächten. Der Weg zur Einheit, in: **Information** 250, überarbeitete Neuauflage 2005., op. cit., pp. 52; Egner, Geschichte, p. 160.

179 Görtemaker, Beginn der deutschen Einigung, p. 42.

180 Hans – Hermann Hertle, Die Berliner Mauer, p. 139.

181 Görtemaker, Beginn der deutschen Einigung, op. cit., p.34. نقلاً عن:

182 Egner, Geschichte, p. 149.

183 وهو المشروع الأميركي "2 زائد 4" (Zwei plus Vier) ، أي الدولتان الألمانيتان إلى جانب الدول الأربع، وقضى بتفاوض الدولتين الألمانييتين على المسائل الاقتصادية والسياسية والقانونية أولاً، وبعد ذلك تقوم الدول الأربع، مع الدولتين الألمانييتين، بتوضيح الأوجه السياسية الخارجية لعملية الوحدة، ومنها مسائل السيادة، وضمان الحدود، وعدد الجيش الألماني، وعضوية ألمانيا الموحدة في حلف الناتو، والتدابير الأمنية مع جيرانها، وانسحاب القوات الحليفة من ألمانيا. راجع:

Manfred Görtemaker, Verhandlungen mit den Vier Mächten, pp. 51-52.

184 ويبر، ص 419-421.

185 Görtemaker, Zusammenbruch des SED-Regimes, op. cit., p. 32.

186 بلغت الكلفة الإجمالية التي دفعتها ألمانيا الاتحادية إلى الاتحاد السوفياتي لبناء شقق للعسكريين السوفيات العائدين إلى بلادهم خلال السنوات الأربع التالية 7.8 مليار مارك، إضافة إلى 3 مليار مارك كقرض من دون فائدة. أما مجمل المبلغ الذي دفع، فبلغ 12 ملياراً. ويبر، ص 423.

187 Manfred Görtemaker, „Probleme der inneren Einigung. Der Weg zur Einheit“, in: **Information** 250, überarbeitete Neuauflage 2005, pp. 61-73.

188 Egner, Geschichte, p. 149.

---